

جهد العبد المذنب

صور من

عظمة الإسلام

« وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ
وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ
سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »

ذات الأجزاء

دار الإعتصام

٨ شارع حسين حجازى - ت. ٣٥٤٦٠٣١ / ٣٥٥١٧٤٨ ص. ب. ٤٧٠ القاهرة

للطبع والنشر والتوزيع

جدید (میں) لکھی

صور من

عظمتہ الاسلام

«وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ
وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ
سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»

ذَرَارَةُ عِيَضِ قَلْبٍ



الطبعة الثالثة

١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

دار الإحياء

مطبع ونشر وتوزيع
عدد ٨ شارع حسين حجازي
بغداد ٣١٧:٨

الغلاف: تصميم وتنفيذ يحيى زهران

اللهم

الحمد لله رب العالمين وأصلى وأسلم صلاة وتسليما يليقان بمقام أمير الأنبياء وإمام المرسلين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبينا محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين .

صل اللهم وسلم وبارك على هذا النبي الأمين ، وعلى آله وصحباة الغر الميامين وارحم اللهم مشايخنا ووالدينا وأمواتنا وأموات المسلمين أجمعين .

أما بعد ، فإنني أتقدم بكتابي هذا راجيا الله العلي القدير أن يجعله خالصا لوجهه ، وأن ينفع به ، ويسدد به ، ويحيي به سنة النبي وهديه .

أهدى هذا الكتاب إلى كل مسلم فخور بدينه ، معتر بكتاب ربه وسنة نبيه ، عارف بالله ، واثق بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، مطمئن القلب إلى أن الإسلام هو دين الحق ، وأنه لا حق إلا الإسلام .

أهديه إلى كل منصف مشتاق إلى معرفة الحقيقة دون تعصب ، ودون ميل إلى الهوى .

إلى كل منصف يقول : اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، (ربنا لا نزع قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد) . (آل عمران ٨ ، ٩)

1871

1. The first part of the year was spent in the
city of New York, where I was engaged
in the study of the history of the
United States, and in the collection
of materials for a history of the
Republic.

2. The second part of the year was spent
in the city of New York, where I was
engaged in the study of the history
of the United States, and in the
collection of materials for a history
of the Republic.

3. The third part of the year was spent
in the city of New York, where I was
engaged in the study of the history
of the United States, and in the
collection of materials for a history
of the Republic.

4. The fourth part of the year was spent
in the city of New York, where I was
engaged in the study of the history
of the United States, and in the
collection of materials for a history
of the Republic.

5. The fifth part of the year was spent
in the city of New York, where I was
engaged in the study of the history
of the United States, and in the
collection of materials for a history
of the Republic.

6. The sixth part of the year was spent
in the city of New York, where I was
engaged in the study of the history
of the United States, and in the
collection of materials for a history
of the Republic.

مقدمة الكتاب

اللهم إنا نستعينك ، ونستهديك ، ونستغفرك ، ونتوب إليك .
ونؤمن بك ، ونتوكل عليك ، ونثني عليك الخير كله ، نشكرك
ولا نكفرك ، ونخلع ونترك من يفجرك .

اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد . نرجو
رحمتك ونخشى عذابك ، إن عذابك الجسد بالكفار ملحق . وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد ، فإن الإسلام هو شريعة العدل ، شريعة الحق ، شريعة
الرحمة ، شريعة المحبة ، شريعة الله المتصف بصفات الجلال والكمال ،
فإذا بعد الحق إلا الضلال فأنتي تصرفون .

إن هذا الكتاب سيسجل على صفحاته صوراً مشرقة من عظمة
الإسلام ، وكل ما في الإسلام عظيم وجليل (ومن يبتغ غير الإسلام
ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) (آل عمران ٨٥) .

فاللهم إنا نشهدك أننا قد رضينا بك رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد
صلى الله عليه وسلم نبياً ، إن هذا الإسلام وسعت تعاليمه الدنيا والآخرة ،
فهو دين القيادة والعبادة ، دين العزة والمصحف ، دين السلام
والإسلام ، (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب
والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع
للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، إن الله قوي عزيز)

(الحديد ٢٥)

وصلى الله وسلم على صاحب الرسالة العصماء ، الذى رفع راية التوحيد عالية تناطح الجوزاء ، وتزاحم الشمس فى الجلاء ، بدأ مسيرة التوحيد من أول أن نزل عليه الوحي بقوله تعالى : (إقرأ باسم ربك الذى خلق) (العلق ١) .

وظل فى مسيرته مرفوع الرأس ، عزيز الجانب ، موفور الكرامة ، لا يخشى جبروت الوليد بن المغيرة ، ولا ظلم أبى لهب ، ولا عدوان أبى جهل ، ولا قسوة أمية بن خلف .

وأخذت قافلة التوحيد تسير والذئاب تعوى ، وصاحب الرسالة يعلنها قوية لا غموض فيها ، صريحة لا لبس فيها « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

نعم لقد ظل ثابتا ثبات الجبال الراسيات ، إلى أن توج الله رسالته بقوله (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا) (المائدة ٣) .

| | |
|---------------------------|-------------------------------|
| جل الذى بعث الرسول رحيمًا | ليرد عنا فى المعاد جحيمًا |
| وبه نرجو جنة ونعيمًا | أضحى على المولى الكريم كريمًا |
| يا أيها الراجون منه شفاعة | صلوا عليه وسلموا تسليما |

سئلت أم المؤمنين عائشة ، عن خلق رسول الله فقالت : كان خلقه القرآن .

وإذا كان هناك من دعاة الانحلال وأعداء القيم من ينادى قائلًا : إن الأخلاق قيد لا معنى له ، فإن نبي الإسلام العظيم يعلنها فى سمع الزمان « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وبعد أن أتم الله دعوته ، ولحق الرسول بالرفيق الأعلى ، قام بتبليغ شرع الله بعده رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فانتشرت دعوة الإسلام في طول الدنيا وعرضها ، حتى بلغت من حدود الصين شرقاً إلى فرنسا غرباً ، ومن حدود سيبيريا شمالاً إلى المحيط الهندي جنوباً .

نعم . . . إنهم رجال رباهم أستاذ الإنسانية الأكبر .
كان فيهم أبو بكر الذي كان يقول : احرص على الموت توهب لك الحياة .

وكان فيهم عمر الذي سمع بعد وفاة رسول الله يبكي وهو يردد هذه الكلمات :

« السلام عليك يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، لقد كنت نخطبنا على جذع نخلة فلما كثر الناس ، اتخذت منبرا لتسمعهم ، فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن ، فأمتك أولى بالحنين إليك لما فارقها ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته ، فقال عز وجل : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » . (النساء ٨٠) .

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده : أن بعثك آخر الأنبياء ، وذكرك في أولهم فقال عز وجل : « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ، ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا » (الأحزاب ٧) .

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون ، « يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا » (الأحزاب ٦٦) .

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لئن كان موسى بن عمران أعطاه
الله حجرا تفجر منه الأنهار ، فليس ذلك بأعجب من أصابعك حين
نبت منها المساء ، صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله .

بأبي أنت وأمي يا رسول الله : لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله
إحياء الموتى ، فما هذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي
مشوية فقالت لك الذراع « لا تأكلني فأني مسمومة » .

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد دعا نوح على قومه فقال « رب
لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا » (نوح ٢٦) .

ولو دعوت عاينا بمثلها لهلكنا كلنا ، فلقد وطئ ظهرك عقبة
ابن أبي معيط وأنت تصلى وأدمى وجهك ، وكسرت رباعيتك يوم
أحد ، فأبيت أن تقول إلا خيراً ، فقلت « اللهم اغفر لقومي فإنهم
لا يعلمون » .

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد بلغ من تواضعك أنك جالستنا
وتزوجت منا ، وأكلت معنا ، ولبست الصوف وركبت الدواب ،
وأردفت خلفك ، ووضعت طعامك على الأرض تواضعا منك
صلى الله عليك وسلم .

رضى الله عنك يا عمر ، يا من أحببت رسول الله وأحبك الله
ورسوله ، فإلى أن نلقاك في دار تجمع سلامة الأبدان والأديان .

شخصية الرسول ﷺ

ما ضل عن وحى الإله وما غوى
جاشا رسول الله ينطق عن هوى
الصادق الثقة الأمين بما روى
قد نال من رب السماء علوما

يقول الباحثون في العلوم الإنسانية « إن الشخصية هي مجموعة العوامل الخلقية ، والخلقية ، والعقلية » .

ونحن إذا ما بحثنا هذه العوامل الثلاثة مجتمعة رأيناها قد بلغت حد الكمال وذروة السمو في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو المثل الكامل ، والإنسان الفاضل ، الذى خلقه الله وجمله ، وبمعاني الخلق الكريم فضله ، وبالعقل الرشيد والمنطق السديد حصنه وزينه .

الجانب الخلقى

سيدى يا رسول الله :
كأنك قد خلقت كما تشاء
وأفضل منك لم تلد النساء
فأجمل منك لم تر قط عيني
خلقت مبرأ من كل عيب

وهاهو ذا الصحابي الجليل أبو هريرة يحدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته الخلقية -، في عبارة موجزة المبني ، عظيمة المعنى فيقول :

« ما رأيت أجمل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكأنما تجرى الشمس في وجهه ، وما كان أحد أسرع في مشيته منه ، كأنما تطوى الأرض تحته طياً ، ولقد كنا نمشي معه فنجهد وهو غير مكترث » .

ولكى نزيد هذا المعنى وضوحاً وجلاء ، فإننا نسجل هذه الصورة القلمية لشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لتكون بديلاً عن الصورة الشمسية ، وذلك كما ورد في كتب السنة الصحيحة ، فقد روت في صفة رسول الله الجسمية هذه الصفات :

لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن^(١) ، ولا بالقصير المتردد^(٢) بل كان ينسب إلى الربعة^(٣) إذا مشى وحده ، ومع ذلك لم يكن يماشيه أحد ممن ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقول صلى الله عليه وسلم : « جعل الخير كله في الربعة » .

وأما لونه فقد كان أزهر^(٤) اللون . ولم يكن بالآدم^(٥) ، ولا بالشديد البياض .

-
- (١) فاحش الطول .
 - (٢) المتناهي في القصر .
 - (٣) بين الطول والقصر .
 - (٤) مشرق مضيء وأبيض مشرب بحمرة .
 - (٥) الأسمر .

وأما شعره فقد كان رجل (١) الشعر حسنه ، ليس بالسبط (٢) ولا بالجعد (٣) ولا بالقطط (٤) . وكان إذا مشط بالمشط يأتي كأنه جبك الرمل .

وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً ، وأنورهم ، لم يصفه واصف إلا شبهه بالقمر ، وكان يرى غضبه ورضاه في وجهه لصفاء بشرته .

وكانوا يقولون : هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه حيث يقول :

أمين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام
وكان صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة ، أزج (٥) الحاجبين سابغهما (٦)
وكان أبلج (٧) ما بين الحاجبين ، وكانت عيناه نجلاوين (٨) وكان
صلى الله عليه وسلم أدهج (٩) العينين ، أشكل العينين (١٠) وكان
أهدب الأشفار (١١) ، حتى تكاد تلتبس من كثرتها . وكان مستوى

(١) ليس بسبط ولا جعد .

(٢) مترسل ليس فيه تن أصلا .

(٣) فيه التواء وانقباض .

(٤) هو الشعر شديد الجمودة كشعر الزنج .

(٥) المقوس الطويل والوفر الشعر .

(٦) السابغ يعنى الكامل .

(٧) أى بين حاجبيه فاصل لطيف .

(٨) واسعتين .

(٩) شديد سواد العين .

(١٠) الشكلة حمرة في بياض العين . وهى من علامات النبوة .

(١١) طويل شعر الأجناف .

الأنف ، وكان مفلج الأسنان ، أى متفرقها . وكان إذا افتر ضاحكا
 افتر عن مثل سنا البرق إذا تلاًأ . وكان من أحسن الناس شفتين ،
 وألطفهم ختم فم ، وكان سهل الخدين صلبيهما ، ليس بالطول الوجه ،
 ولا المكلم^(١) كث الحية ، يعنى لحيته ويأخذ من شاربه ؛ وكان
 أحسن عباد الله عنقاً ، لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر ، ما ظهر
 من عنقه للشمس والرياح فكأنه إبريق فضة مشرب ذهباً ، يتلأأ
 في بياض الفضة ، وفي حمرة الذهب .

وكان صلى الله عليه وسلم أجود الصدر^(٢) ، عريض الصدر ،
 لا يعدو لحم بعض بدنه بعضاً ، كالمرأة في استوائها ، وكالقمر
 في بياضه ، موصول ما بين لبتة^(٣) وسرته بشعر دقيق كالقضب .
 لم يكن في صدره وبطنه شعر غيره . وكان عظيم المنكين أشعرهما ،
 ضخم الكراديس (أى رموس العظام من المنكين والمرفقين
 والوركين) وكان واسع الظهر ، ما بين كتفيه خاتم النبوة ، وهو
 مما يلي منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة ، حولها
 شعرات متواليات كأنها من عرف فرس . وكان ممتلئ الذراعين
 والعضدين ، طويل الزندين (أى الذراعين) رحب الراحتين (أى
 الكفين) سائل الأطراف (أى طويل الأصابع) كأن أصابعه قضبان
 الفضة ، كفه ألين من الحرير ، كأنه كف عطار (أى طيبة الرائحة ،
 سواء مسها بطيب أم لم يمسيها) .

(١) المدور .

(٢) كناية عن خلوه من الحقد والغل .

(٣) النقرة التي فوق الصدر أو موضع القلادة منه .

وكان ممتلىء ما تحت الإزار (أى الوسط إلى الفخذين والساق) وكان معتدل الخلق فى السمن .

وأما مشيه صلى الله عليه وسلم فكان يرفع رجله من الأرض بهمة وقوة ، ويمشى فى ثبوت وأناة ، ويميل إلى الأمام كالسفينة فى جريها ، ويمشى الهوينى (١) بغير تبختر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كان أبى إبراهيم أشبه الناس بى خلقاً وخلقاً »

الجانب الخلقى

سيدى أبو القاسم يا رسول الله . . .

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا

منها وما يتعشق الكبراء

زانتك فى الخلق العظيم شمائل

يغرى بهن ويولع الكرماء

ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة قبل البعثة يلقب بالصادق الأمين ، وهذه الكلمة لها خطورتها ومكائنها ، ومغزاها ومعناها ، فالصدق والأمانة هما الأساس الأول لبناء النفس المستقيمة ، وتكوين الخلق السوى ، ولذا فإنه صلى الله عليه وسلم عمل تاجراً فى مال خديجة قبل أن يوحى إليه ، فما رأت منه إلا كرم الأخلاق ، وحميد السجايا ، ورفيع الشمائل ، كما كان يخبرها بذلك ميسرة غلامها الذى كان يصحب الرسول فى تحركاته ، ما عهد عليه كذباً ، ولا تطفيفاً فى الكيل ، ولا نقصاً فى الميزان ، وما عهد عليه كذباً

(١) أى متواضعاً ولا يمنع ذلك أن يكون مسرعاً فى مشيته .

في حلف ، بل رآه صورة متكاملة ، رآه سمحاً إذا باع ، سمحاً إذا اشترى ، سمحاً إذا قضى ، سمحاً إذا اقتضى ، فإذا كان من خديجة ؟ - ومكاتها في قريش مكاتها ، وعلو قدرها معروف - لقد أرسلت صديقتها نفيسة بنت منية لتخطب لها محمد بن عبد الله ، وكان عنده من العمر يوم ذاك خمس وعشرون سنة ، وهي شارفت على الأربعين .

لماذا خطبته لنفسها ؟

هل خطبته لأنه واسع الثراء ، باذخ الغنى ؟ كلا . .

إن الحقائق تثبت أنه يوم مات عبد الله بن عبد المطلب لم يترك لابنه محمد إلا خمسة من الإبل ، وبعض رؤوس الغنم ، وجارية هي أم أيمن .

هل خطبته طمعاً في حربه أو نسبه ؟ إنها الحسبية النسبية التي طرق بابها كثير من عظماء قريش ، فأبت أن تكون لهم زوجة ، لأنها نظرت إليهم نظرة العاقل المتدبر ، فوجدتهم طلاب مال خديجة ، وليسوا طلاب خديجة .

المرء في زمن الإقبال كالشجر

والناس من حولها مادامت الثمرة

حتى إذا راح عنها حملها انصرفوا

وخلفوها تقاسى الحر والغبرة

نعم ! إن هذا النظر البعيد ، هو الذى يواكب حقائق الحياة .

إذا قل مالى فما خل يصاحبني وفي الزيادة كل الناس خلاني

كم من عدو لأجل المال صادقني وكم صديق لفقد المال عاداني

إذن لماذا خطبت خديجة محمد بن عبد الله لنفسها ؟

خطبته لأنها وجدت فيه الإنسان الكامل ، والمثل الأعلى ، والقُدوة الطيبة ، والأسوة الحسنة ، إنه الصادق الأمين .

وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الخطبة .

وليلة زفافه على خديجة وقف أبو طالب عمه يلقي هذا الخطاب الذي يعتبر وثيقة تاريخية صريحة سجلت الجانب الخلقى الذي تحلى به الحبيب محمد قبل البعثة .

ماذا قال أبو طالب ؟

قال : أيها الناس : الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل ، وجعل لنا بيتاً محجوباً وبلداً حراماً ، وجعلنا الحكام على الناس . أما بعد ، فإن محمد بن عبد الله ابن أخي ، لا يوزن به فقي من قريش إلا رجح به برأ وفضلاً ، وكرماً وعقلاً ، ومجداً ونبلاً ، وإن كان في المال قلاً ، فالمال ظل زائل ، وعارية مسترجعة ، وإن لمحمد بن عبد الله ابن أخي رغبة في خديجة ، ولها فيه مثل ذلك ، وما طلبتم من الصادق فعلى .

هذه خطبة الزواج التي ألقاها أبو طالب لتفويض بالمعاني السامية ، والحقائق الثابتة ، التي لا مرأى فيها ولا لبس ، ولا جدال ولا غموض ، وتتحرك الأعوام ، ويدور الفلك ، ويخلو الرسول في غار حراء يتأمل في رحاب الكون ، سماوات ذات أبراج ، وبحار ذات أمواج ، وأرض ذات فجاج ، كون هو كتاب سطرته يد القدرة ، وخطه الجلال بأسمى معاني الحكمة .

وسل الواحة الخضراء والماء جاريا
 وسل الروض مزدانا سل الزهر والندى
 وسل هذه الأنسام والأرض والسما
 فلوجن هذا الليل وامتد سرمدا
 ولو غاض هذا الماء في القاع هل لكم
 ولو أن هذى الريح ثارت وأعصرت
 ألا أيها الباحث ما بال بحشكم
 وهذر الصحارى والجبال الرواسيا
 سل الليل والإصباح والطير شاديا
 وسل كل شئ تسمع الحمد ساريا
 فمن غير رب يرجع الصبح ثانيا
 سوى الله يجريه كما شاء راويا
 أفى كونكم من يمكسك الريح ناهيا
 توقف مشدوها لدى الكون واهيا

لو سألت هذا العالم من عرشه إلى فرشه ، ومن سمائه إلى أرضه ،
 وقلت له : من خالقك ؟ لأجابتك بلسان الحال والمقال : أنا مخلوق
 للواحد الديان .

(تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شئ
 إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا)^(١)
 وهكذا أخذ الرسول يقرب الطرف في أرجاء البسيطة ، حتى هبط
 عليه سفير الأنبياء وكبير أمناء وحى السماء بقول البارى تبارك اسمه
 (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك
 الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم)^(٢)

وهذا أمر تكوين ، كان المقصود بقوله تعالى : (اقرأ) كمن قارئاً
 يا محمد ، فكان كما أراد الله ، ولم تكن القراءة بمعناها المحدود ذات
 حروف وسطور ، إنما كانت أوسع دائرة . وأرحب أفقاً .

تأمل سطور الكائنات فلإنها من الملائ الأعلى إليك رسائل
 اقرأ (والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها . والنهار إذا جلاها .

(١) الإسراء : ٤٤ .

(٢) الملق : ١ - ٥ .

والليل إذا يغشاها . والسماء وما بناها . والأرض وما طحاها . ونفس
وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها (١) .

إقرأ (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها
من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل
زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء
مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع
نضيد . رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج (٢) .

إقرأ يا محمد : (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل
والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس . وما أنزل الله من
السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف
الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) (٣)
إقرأ يا محمد : (خلق السماوات والأرض بالحق تعالى عما يشركون .
خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين) (٤)

إقرأ يا محمد : (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم في
الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون . وهو الذي سخر
البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى
الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (٥) .

سبحانك ربى يا من شهد بحكمته الليل إذا يغشى ، ونطق بجلاله النهار
إذا تجلى ، وسبح بحمده العالم الأدنى ، والملا الأعلى .

(٢) ق : ٦ - ١١

(٤) النحل : ٣ - ٤ .

(١) الشمس : ١ - ٨

(٣) البقرة : ١٦٤ .

(٥) النحل : ١٢ - ١٤ .

هذه هي الحقيقة العليا التي انطلق بها السيد الجليل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غار حراء ، إلى بيته حيث الزوجة الوفية خديجة بنت خويلد ، وقد اعتراه من الملك شيء من الرعدة ، دخل على خديجة بقول : « زملوني زملوني » .

فماذا قالت له خديجة رضى الله عنها هل تنكرت لمعاشره طالت خمسة عشر عاماً ؟ أو وقفت موقف اللامبالاه ؟ أو اعتزلته مكاناً قصياً ؟ أو كانت منه فى جفاء وغلظة ؟؟ كلا . . لقد كان مثالا يحتذى ، لقد قالت له : والله لا يخزيك الله أبداً ، ودعمت حكمها هذا بستحيثيات . قالت له :

- ١- إنك لتصل الرحم .
- ٢- وتصدق الحديث .
- ٣- وتحمل الكل .
- ٤- وتكسب المعدوم .
- ٥- وتقرى الضيف .
- ٦- وتعين على نوائب الدهر .

وقبل أن نفيض فى تفصيل هذه الحثيات الست يجدر بنا ن نذكر حقيقة الوحى ، ونعقب عليها بالرد على الدعوى الباطلة التى أثارها أعداء الإسلام من المستشرقين ، ومن لف لفهم ، وصار فى فلحكم من المستغربين ، وذلك لأهمية هذه القضية .

الوحي

ما هو ؟ :

الوحي بمعناه الشرعي حقيقة يشترك فيها الأنبياء جميعاً ، وهو إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه .

وقد يطلق أيضاً على كلام الله المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم . وجاء في تعريف الوحي أيضاً عند بعض العلماء أنه عرفان يجده الشخص في نفسه مع اليقين بأنه من عند الله بواسطة وبغير واسطة . قال الله تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه على حكيم . وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم . صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) (١) .

ويقطع هذا النص بأنه ليس من شأن إنسان أن يكلمه الله إلا وحياً . وإنما يتم كلام الله للبشر بوحدة من ثلاث .

١- إما أن يكون وحياً ، بمعنى أن الله يلقى في النفس مباشرة فتعرف أنه من الله .

٢- وإما أن يكون من وراء حجاب ، كما كلم الله موسى عليه السلام حين طلب الرؤية ولم يجب إليها ، ولم يطق تجلي الله على الجبل

(١) الشورى : ٥١ - ٥٣ .

(وخر موسى صعقا ، فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) .

٣- وإما أن يرسل رسولا ، وهو الملك (فيوحى بإذنه ما يشاء) .

صور الوحي التي وردت

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

الأولى : ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » .
والثانية : أنه كان صلى الله عليه وسلم يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول .

والثالثة : أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس ، وكان أشده عليه ، حتى أن جيئنه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد ، وحتى أن راحته لتبرك به إلى الأرض إن كان راكبها . ولقد جاء الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذه زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترددها .

والرابعة : أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها فيوحى إليه ما شاء الله أن يوحىه ، وهذا وقع له مرتين ، كما ذكر الله ذلك في سورة النجم (علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب القواد ما رأى . أفتأرونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدره المنتهى . عندها جنة المأوى) .

هذه صور الوحي وطرق الاتصال (إنه على حكيم) يوحى من علو ، ويوحى بحكمة إلى من يختار .

قال بعض المحققين : إنه ما من مرة وقفت أمام آية تذكّر الوحي ، أو حديث يتكلم عنه ، لأتأمل هذا الاتصال ، إلا أحسست له رجفة في أوصالي . كيف . . كيف يكون هذا الاتصال بين ذات الله الأزلي الأبدى الذى ليس له حيز في المكان ، ولا حيز في الزمان . المحيط بكل شيء والذى ليس كمثل شيء . كيف يكون هذا الاتصال بين ذات الله العلى ، وذات الإنسان المتحيزة في المكان والزمان ، المحدودة بمحدود المخلوقات ، من أبناء الفناء ؟!

ثم كيف يعمّل هذا الاتصال معاني وكلمات وعبارات ؟ وكيف تطيق ذات محدودة فانية أن تتلقى كلام الله الأزلي الأبدى ، الذى لا حيز له ولا حدود ، ولا شكل له معهود ، وكيف ؟ وكيف ؟ ولكنى أعود فأقول : ومالك تسأل عن كيف ؟ وأنت لا تملك أن تتصور إلا في حدود ذاتك المتحيزة القاصرة الفانية ؟!

لقد وقعت هذه الحقيقة وتمثلت في صورة وصار لها وجود . هو الذى تملك أن تدركه من وجود . ولكن الوهلة والرجفة والروعة لا تزال ! إن النبوة هذه أمر عظيم حقاً . وإن لحظة التلقى هذه لعظيمة حقاً . تلقى الذات الإنسانية لوحى من الذات العلوية .

أخى الذى تقرأ هذه الكلمات . . أنت معى في هذا التصور ؟! أنت معى تحاول أن تتصور ؟! هذا الوحي الصادر من هناك . أقول (هناك) ؟! كلا . . إنه ليس هناك (هناك) الصادر من غير مكان ولا زمان لا حيز ولا حد ولا جهة ولا ظرف . الصادر من النهائى الأزلي الأبدى . . الصادر من الله ذى الجلال . . إلى إنسان . .

إنسان . . مهمما يكن نبياً رسولاً ، فإنه هو هذا الإنسان ذو الحدود والقيود . . هذا الوحي . هذا الاتصال العجيب المعجز الذى لا يملك إلا الله أن يجعله وقعة تتحقق ، ولا يعرف إلا الله كيف يقع ويتحقق :
أخى الذى تقرأ هذه الكلمات ، هل تحس ما أحس من وراء هذه العبارات المتقطعة التى أحاول أن أنقل بها ما يخالج كيانى كله ؟
إنى لا أعرف ماذا أقول عما يخالج كيانى كله من الروعة والرجفة ، وأنا أحاول لأن أتصور ذلك الحديث العظيم العجيب الخارق فى طبيعته ، والخارق فى صورته ، الذى حدث مرات ومرات ، وأحس بحدوثه ناس رأوا مظاهره رأى العين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذه عائشة - رضى الله عنها - تشهد من هذه اللحظات العجبية فى تاريخ البشرية ، فتروى عن واحدة منها فتقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام . قلت : وعليه السلام ورحمة الله قالت : وهو يرى ما لا نرى » أخرجه البخارى .

وهذا زيد بن ثابت - رضى الله عنه - يشهد مثل هذه اللحظة ، وفخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذة ، وقد جاءه الوحي ، فثقلت حتى كادت ترد فخذة .

وهؤلاء هم الصحابة - رضوان الله عليهم - فى مرات كثيرة يشهدون هذا الحادث ، ويعرفونه فى وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيدعونه للوحي ، حتى يسر عنه فيعود إليهم ويعودون إليه .
ثم . . أية طبيعة . طبيعة هذه النفس التى تتلقى ذلك الاتصال العلوى الكريم ؟

أى جوهر من جواهر الأرواح ذلك الذى يتصل بهذا الوحي ،
ويختلط بذلك العنصر ، ويتسق مع طبيعته وفحواه ؟

إنها هى الأخرى مسألة ! إنها حقيقة . ولكنها تراءى هنالك بعيداً
على أفق عال ومرتبى صاعد ، لا تكاد المدارك تتملاه ! روح هذا
النبي - صلى الله عليه وسلم - روح هذا الإنسان . كيف يا ترى
كانت تحس بهذه الصلة وهذا التلقى ؟

كيف كانت تفتح ؟ كيف كان ينساب فيها ذلك الفيض ؟ كيف
كانت تجسد الوجود فى هذه اللحظات العجيبة التى يتجلى فيها الله على
الوجود ، والتى تتجاوب جنباته كلها بكلمات الله ؟

ثم : أية رعاية ؟ وأية رحمة ؟ وأية مكرمة ؟ والله العلى الكبير
يتلطف فيعنى بهذه الخليفة الضئيلة المسماة بالإنسان ، فيوحى إليها
لإصلاح أمرها وإنارة طريقها ، ورد شاردتها ، وهى أمون عليه من
البعوضة على الإنسان ، حين تقاس إلى ملكه الواسع العريض !
إنها حقيقة . ولكنها أعلى وأرفع من أن يتصورها الإنسان ،
إلا مطلعاً إلى الأفق السامق الوضئ .

قوله تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من
عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم . صراط الله الذى له ما
فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) .

يريد الله تبارك وتعالى أن يقول لصفوة خلقه : ومثل الوحي الذى
أوحيناه إلى الأنبياء السابقين عليك ، أوحينا إليك روحاً من أمرنا ،
فيه حياة يبث الحياة ويدفعها ، ويحركها وينمها فى القلوب . وفى

الواقع العملي المشهود (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) .
والمقصود بهذا النص هو اشتغال قلب الحبيب محمد - صلى الله
عليه وسلم - على هذه الحقيقة ، حقيقة الكتاب والإيمان ، والشعور
بها ، والتأثر بوجودها في الضمير ، وهذا ما لم يكن قبل هذا الروح
من أمر الله الذي لابس قلب محمد - صلى الله عليه وسلم - (ولكن
جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا) .

وهذه طبيعته الخالصة ، طبيعة هذا الوحي هذا الروح ، هذا
الكتاب ، إنه نور ، نور تحالط بشاشته القلوب التي يشاء لها الله أن
تهتدى به ، بما يعلمه من حقيقةها ، ومن مخالطة هذا النور لها
(وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) .

هذا تأكيد على تخصيص هذه المسألة ، مسألة الهدى بمشيئة الله
جل شأنه ، وتجريدها من كل ملابسة ، وتعليقاً بالله وحده ، يقدرها
لمن يشاء بعلمه الخاص ، الذي لا يعرفه سواه ، والرسول - صلى الله
عليه وسلم - واسطة لتحقيق مشيئة الله ، فهو لا ينشئ الهدى
في القلوب ، ولكن يبلغ الرسالة ، فتقع مشيئة الله (وإنك لتهدى إلى
صراط مستقيم . صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض)
فهي الهداية إلى طريق الله الذي تلتقى عنده المسالك ، لأنه الطريق
إلى المالك (الذي له ما في السموات وما في الأرض) .

فالذي يهتدى إلى طريقه يهتدى إلى ناموس السموات والأرض ،
وقوى السموات والأرض ، ورزق السموات والأرض ، وانجاء
السموات والأرض ، إلى مالكها العظيم ، الذي إليه تتجه ، والذي
إليه تصير (ألا إلى الله تصير الأمور) .

فكلها تنتهي إليه . وتلتقى عنده ، وهو يقضى فيها بأمره ، وهذا

النور يهدي إلى طريقه ، الذى اختار للعباد أن يسبوا فيه . ليصبروا إليه فى النهاية مهتدين طائعين .

ومن الجدير بالذكر أن هذه السورة التى ختمت بآيات الوحي قد بدأت بالحديث عن الوحي ، إنها سورة الشورى ، التى بدأها الله تعالى بقوله : (حم عسق . كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) لقد كان الوحي محورها الرئيسى ، وقد عاجلت قصة الوحي منذ النبوات الأولى لتقرر وحدة الدين ، ووحدة المنهج ، ووحدة الطريق ، ولتعلن القيادة الجديدة للبشرية ، ممثلة فى رسالة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وفى العصبية المؤمنة بهذه الرسالة ، ولتلقى على عاتق هذه العصبية أمانة القيادة إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السماوات وما فى الأرض ، ولتبين خصائص هذه العصبية وطابعها المميز الذى تصلح به للقيادة ، وتحمل به هذه الأمانة ، الأمانة التى تنزلت من السماء إلى الأرض ، عن ذلك الطريق العجيب العظيم .

بشائر النبوة

بعد الفراغ من تعريف الوحي ، وأنه حقيقة واقعة ، يشترك فيها جميع الأنبياء ، فإن للوحي بشائر قبل نزوله ، تبعث الأمن والطمأنينة فى قلب النبي الذى يوحي إليه ، ألا وهى الرؤيا الصالحة .

عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : أول ما يوثق به الأنبياء فى المنام ، حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحي بعد فى اليقظة .
قد روت عائشة - رضى الله عنها - فى حديث بدء الوحي أنه

أول ما بدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرؤيا الصالحة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

صور الوحي

وهي كثيرة متنوعة كما روت عائشة - رضي الله عنها - أن الحارث بن هشام سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده علي ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قاله . وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول ، قالت عائشة - رضي الله عنها : ولقد رأيتني ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً ، .

الصحابة يشاهدون ساعة الوحي

ويجدر بنا في هذا المقام أن نذكر أن هناك كثرة من الصحابة قد أبصروا الملك جبريل الأمين وقد تمثل في صورة بشرية حسنة الهيئة ، وهو يجلس ويخاطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهذه بعض المشاهد التي رويت في ذلك :

أخرج الإمام أحمد في مسنده والخرايطي في مكارم الأخلاق عن طريق أبي العالية عن رجل من الأنصار قال : « خرجت مع أهلي أريد النبي - صلى الله عليه وسلم - فإذا به قائم ومعه رجل يقبل عليه ،

فظننت أن لها حاجة ، قال الأنصاري : لقد قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى جعلت أرثى له من طول القيام ، فلما انصرف قلت : يا رسول الله ، لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثى لك من طول القيام ، قال : ولقد رأيتك ؟ قلت : نعم ، قال : أتدرى من هو ؟ قلت : لا . قال : ذاك جبريل مازال يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه . ثم قال : أما إنك لو سلمت رد عليك السلام .

وأخرج أبو موسى المديني في المعرفة عن ثميم بن سلمة قال « بينما أنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ انصرف من عنده رجل فنظرت إليه مولياً معتماً بعمامة قد أرسلها من ورائه ، قلت : يا رسول الله من هذا ؟ قال جبريل . »

وأخرج أحمد والطبراني في الدلائل عن حارثة بن النعمان قال : « مررت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه جبريل ، فسلمت عليه ومررت ، فلما رجعنا وانصرف النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : هل رأيت الذي كان معي ؟ قلت : نعم ، قال : فإنه جبريل وقد رد عليك السلام . »

وأخرج أحمد والبيهقي عن ابن عباس قال : « كنت مع أبي عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعنده رجل يناديه ، فكان كالمعرض عن أبي ، فخرجنا ، فقال لي أبي : يا بني ألم تر أن ابن عمك كالمعرض عني ؟ قلت : يا أبت إنه كان عنده رجل يناديه ، فرجع فقال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم : قلت لعبد الله كذا وكذا ، فقال إنه كان عندك رجل يناديك ، فهل كان عندك أحد ؟ قال : وهل رأيتك يا عبد الله ؟ قلت : نعم ، قال : ذاك جبريل هو الذي شغلني عنك . »

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس قال : رأيت جبريل مرتين .
وأخرج أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف عن أبي جعفر
قال : كان أبو بكر يسمع مناجاة جبريل للنبي - صلى الله عليه وسلم .
وأخرج الحاكم عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : « رأيت
جبريل واقفاً في حجرتي هذه ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم -
يتناجيه ، فقلت : يا رسول الله من هذا ؟ قال : بمن شئت ، قالت :
بدحية الكلبي - وهو صحابي من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعائشة : لقد رأيت
جبريل » .

وجاء في صحيح الإمام مسلم أن جابر بن عبد الله الأنصاري - وكان
من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يحدث قال :
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يحدث عن فترة الوحي ،
قال في حديثه : فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً في السماء ، فرفعت رأسي ،
فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسى بين السماء والأرض ،
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : فرجعت فقلت : زملوني ،
فدثروني ، فأُنزل الله تبارك وتعالى : (يا أيها المدثر قم فأندر . وربك
فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر) .

ومن حديث أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - في صحيح
الإمام مسلم عند قوله تعالى (ولقد رآه بالأفق المبين) (ولقد رآه
نزلة أخرى) فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال : « إنما هو جبريل لم أره في صورته
التي خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيتُه منهبطاً من السماء ساداً عظيماً
خلق ما بين السماء إلى الأرض » .

وبعد بيان هذه المشاهد التي رأى فيها بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمين الوحي رأى العين . فإن المستشرقين . ومن لف لف لفهم من المستغربين ، لا يدعون قضية الوحي دون أن يكون لهم فيها غمز و لئز ، فقد طفحت نفوسهم بالحق ، وقد بدت البغضاء من أفواههم وما تحق صدورهم أكبر .
 وما نحن أولاء نعرض هذه الشبه بالرد القاطع فنبتلها ونحوها فنذرنا هشيما تدوره الرياح .

شبهات باطلة

ركز المستشرقون جهودهم حول قضية الوحي ، لأنها الأساس الأول في الإسلام ، فأخذوا ينفثون سمومهم ، ويشيرون غبار الشبهات حول إثبات الوحي لكي يسلم ما تهبوا نفوسهم المريضة ، وقلوبهم السقيمة ، ولكن الحق أقوى مما يتصورون . وأكبر مما يظنون ، (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) (١) .

(قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد) (٢) .

وقبل أن ندخل في تفاصيل هذه الشبه والرد عليها ، فإننا نضع بين يدي القارئ الكريم صورة مفصلة عن بدء الوحي ، كما جاء في كتب السنة الصحيحة ، حتى يكون للقارئ علم ببدء هذه القضية التي تعتبر الدعامة الأولى في صرح العقيدة .

(١) الأنبياء : ١٨ .

(٢) سبأ : ٤٩ .

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح ، أخبرنا ابن وهب قال : أخبرني يونس عن ابن شهاب قال : حدثني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أنها قالت : « كان أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم . فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حجب إليه الحلاء ، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه ، وهو التعبّد ، الليالي أولات العدد ، قبل أن يرجع إلى أهله ، ويزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيزود لمثلها ، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء . فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ! فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم) فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال : زملوني زملوني . فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، ثم قال لخديجة : أي خديجة مالي ؟ وأخبرها الخبر ، قال : لقد خشيت على نفسي . قالت له خديجة : كلا أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبداً ، والله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى (وهو ابن عم خديجة) وكان امرأ تنصر في الجاهلية .

وكان يكتب الكتاب العربي ، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب . وكان شيخاً كبيراً قد عمى ، فقالت له خديجة : أى عم . اسمع من ابن أخيك ، قال ورقة بن نوفل : يا ابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رآه ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذى أنزل على موسى عليه السلام يا ليتنى فيها جزعاً ، يا ليتنى أكون حياً حين يخرجك قومك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : .أو مخرجى هم ؟ قال ورقة : نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ » .

وهذا الحديث اشتمل على الخطوات التى مر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أَرَادَ اللهُ تبارك وتعالى أن يبعثه إلى العالمين بشيراً ونذيراً (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً . الذى له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدأ ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً) (١) .

(قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) (٢) .

(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) (٣) .

(هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً . محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار

(١) الفرقان : ٢٠١ .

(٢) الاعراف : ١٥٨ .

(٣) سبأ : ٢٨ .

رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ،
سبأهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة : ومثلهم
في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه
يعجب الزارع ليغيب بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيماً (١) .

نعم : لقد اتصل نور السماء بأرض الصحراء ، وكانت أول خطوة
في هذا الطريق (الرؤيا الصادقة في المنام) ، فكان صلوات الله وسلامه
عليه لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح جلية واضحة ، لا ليس
فيها ولا غموض ، ولا مرأ ولا خفاء ، وظلت في هذه الحال ستة
أشهر ، ولذلك فإن الرؤيا الصادقة مع رسول الله تعدل جزءاً من
سته وأربعين جزءاً .

بيان ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم استمر ثلاثاً وعشرين
سنة يوحى إليه ، فتكون الأشهر الستة تساوى بالنسبة لهذه المدة جزءاً
من ستة وأربعين ، ثم انتقل الوحي إلى اللقاء المباشر بين الملك الموكل
به وهو الأمين جبريل الذي بين الله وصفه في قوله : (إنه لقول
رسول كريم . ذى قوة عند ذى العرش مكين . مطاع ثم أمين) (٢)
وفي قوله : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين .
بلسان عربي مبين) (٣) .

وفي قوله : (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن
الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) (٤) .

(٢) التكوين : ١٩ - ٢١ .

(١) الفتح : ٢٨ ، ٢٩ .

(٤) البقرة : ٩٧ .

(٣) الشعراء : ١٩٣ - ١٩٥ .

وكان اللقاء الأول بين سفير الأنبياء وكبير أمناء وحى السماء ، وبين المبعوث رحمة للعالمين فى غار حراء ، الذى كان الرسول يخلو فيه متأملاً فى رحاب الكون ، مقلبا طرفه فى أرجاء العالم بكواكبه ونجومه ، وأرضه وجباله ، ونباته وجباهه ، وشمسه وقمره ، وليله ونهاره ، هاتفاً بخالقه ، مردداً آيات الحمد والثناء لرافع السماء بلا عمد ، سبيحه الطير فى وكره ، ومجده الوحش فى قفره ، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون .

وكان الأمر بالقراءة ، وكان الرسول يقول ما أنا بقارئ ، وقال له أمين الوحى : اقرأ باسم ربك الذى خلق ، وانطلق الرسول بهذه الآيات يرجف فؤاده من هول ما رأى .

إن هناك طائفة ملائكية شديدة الجذب ، كان جبريل يضمه إليه حتى يبلغ منه الجهد ثم يرسله ويأمره بالقراءة ، وهكذا ، دخل الأمين محمد صلى الله عليه وسلم على زوجه الوفيصة خديجة بنت خويلد يقول لها : زملونى زملونى فتبعث إلى قلبه ما يشرح الصدر ، وتريش بحنانها جناحه ، وتقسم له بالله أن الله لا يخزيه أبداً ، وتنطلق به إلى ابن عمها ورقة الرجل الذى قرأ الكتاب الذى أنزل على عيسى ، ورأى فيه البشارات الصادقات ببعثة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فيخبر رسول الله أن هذا الملك الذى نزل عليه هو الذى نزل على موسى قبل ذلك وينبئه بأمر ستقع ، فيقول له : ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك ، يقصد هجرته من مكة إلى المدينة ، يسأل الرسول متعجباً « أوخرجى هم ؟ » فيقول له ورقة : نعم ، ثم يبين له السبب وهو أنه ما من أحد يأتي قومه بمثل ما أتى به محمد صلى الله

عليه وسلم إلا عاده الناس . إنه يحمل لواء الحق فلا بد أن يصطدم بأصحاب الباطل ويتمنى ورقة بن نوفل أن يكون حياً وقت أن يخرجه قومه حتى ينصر النبي صلى الله عليه وسلم نصراً عزيزاً مؤزراً .

وهكذا يثبت لنا هذا الحديث الشريف الخطوات الكاملة التي خطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق الوحي .

ونستنتج من هذا قاعدة في العقيدة لا بد لكل مسلم أن يعلمها . هذه القاعدة تثبت أنه لا نبوة بلا وحي ، ولا رسالة بدون نبوة بهذا نطق القرآن العظيم في قوله جل شأنه : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً . ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً . رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً . لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون . وكفى بالله شهيداً) (١) .

ففي هذه الآيات أثبت الله أنه قد أوحى إلى نبيه محمد كما أوحى إلى النبيين قبله ، وبناء عليه فليس هناك نبوة بدون وحي ، ثم أثبت القرآن أن هناك رسلاً من هؤلاء الأنبياء جاءوا مبشرين ومنذرين ، ليقطع المعاذير والحجج ، فإذا كان ذلك كذلك ، فإن النبوة أوسع من دائرة الرسالة ، فكل رسول لا بد أن يكون نبياً .

(١) النساء : ١٦٣ - ١٦٦ .

وإذا كان الحبيب محمد قد ختم النبوة ، وهى الأعم ، فإنه يلزم على ذلك لزوما حتميا أن يختم الرسالة وهى الأخص ، ولذا فإنه لا أساس من الصحة لقول من قال إن هناك رسالة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الوحي لم ينزل على أحد بعده ، وحيث لا وحي فلا نبوة وحيث لا نبوة فلا رسالة .

وإذا كان صلى الله عليه وسلم رسول الله وخاتم النبيين فهو رسول الله وخاتم المرسلين أيضاً ، لأن دائرة المرسلين مندرجة تحت دائرة النبيين ، فلا نبوة بلا وحي ، ولا رسالة بلا نبوة ، وصدق الله إذ يقول : (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً) (١) .

ماذا قالوا عن الوحي ؟

والآن نبدأ فى عرض شبه المبطلين الذين هاجت صدورهم بعقارب البغضاء فنقول لهم : أن الرسول صلى الله عليه وسلم نبي ثبتت نبوته ثبوتاً قطعياً ، وتضافرت على ذلك الأدلة التى لا مرأى فيها ، وعلى رأسها الكتاب الخالد الذى تعهد الله بحفظه فى قوله : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (٢) .

فهو الأسمى الذى لم يقرأ ولم يكتب ولم يذهب إلى أستاذ . ولم يجلس أمام فيلسوف ، فنزول هذا الكتاب عليه بما اشتمله من قصص السابقين فى القرون الأولى ، ومن الوعد والوعيد والإنباء بالغيب ،

(١) الأحزاب : ٤٠ .

(٢) الحجر : ٩ .

والنظم الفريدة التي اشتملت الحياة كلها من شتى نواحيها ، والدعوة الخالصة لإصلاح الفرد والمجتمع ، وهو الأسمى ، دليل قاطع على أنه الصادق الأمين . قال تعالى : (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبتلون . بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) (١) .

لما لم يجد أعداء الرسول في حياته ، ولا في أخلاقه ، ما يمكنهم من الطعن فيه ، جندوا أقلامهم ، وجمعوا صحفهم ، ليفتروا على الله ورسوله الكذب ، فيقولون : كان قساً رومانياً غضب لأنه لم ينتخب لكرسي البابوية ، وأنه وهو الفيلسوف الحكيم ، عز عليه ذلك ، ولم يشأ أن يصبح شيخاً لقييلته ، أو رئيساً لأمته ، إنما أراد أن يكون إلهاً أو في مصاف الآلهة !!

ومما يثبت كذب هذا الافتراء أن محمداً جاء برسائله في وقت تناحرت فيه الفرق الدينية ، وتشعبت المعتقدات ، وتناول البعض الرسائل الدينية السابقة بالتحريف والتغيير ، وبلغ الأمر إلى الارتفاع بالأنبياء إلى مقام الألوهية ، فلو كان محمد يرجو مجداً دنيوياً لوجد البيئة الصالحة لذلك ، ولكنه كان يتلوا عليهم قرآن الله الذي يقول : (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) (٢)

(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد ، فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين) (٣) .

(٢) الكهف : ١١٠ .

(١) النكبات : ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) فصلت : ٦ .

ويجسم الرسول الأمين الأمر حسماً فيقول في حديثه الشريف :
« لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم ، فإنما أنا عبد الله
ورسوله ، فقولوا عبد الله ورسوله » .

فهل بعد ذلك يستقيم قول قائل إنه كان يريد مجدداً أو كان يريد
أن ينصب نفسه إلهاً ؟ .

تهمة باطلة :

وتبادى أعداء الله في غيهم وبهتانهم فيزعمون أن رسول الله صلوات
الله عليه وسلامه كان مريضاً بالصرع ، وأن ظواهر الوحي التي كانت
تعتبره ما هي إلا نوبات الصرع ، ثم يزيدون افتراءهم بهتاناً وإثماً
مبيناً . فيقولون إنه كان يسمع كلاماً أثناء نوبات الصرع ، سمى
بعد ذلك قرآناً .

هذه فرية ما فيها مزية :

إن ما قالوه كلام سخيف لا أساس له من الصحة ، وهراء باطل
لا نصيب له من الحقيقة العلمية ، ولذلك فإننا عندما نوجه شمس
الحقيقة على هذه الخرافات فإنها ستبدد ظلماءها الداكنة ، لتبدو الحقيقة
جلية واضحة لا يعترها لبس ، ولا يعتورها غموض ولا شك .

رد الدكتور (يحيى طاهر) أخصائى وأستاذ الأمراض العصبية
بكلية طب ومستشفى قصر العيني بجامعة القاهرة على الفرية فيقول :

« لقد أراد بعض الناس أن يطعنوا الدين الإسلامى فى شخص الرسول
صلى الله عليه وسلم فقالوا إن النبى محمداً كان مريضاً بالصرع ،
وإن الوحي الذى كان ينزل على الرسول بالقرآن ما هو إلا نوبات
صرعية كان يسمع أثناءها كلاماً رده ليصبح قرآناً .

والذى يدرس الصرع من أى ناحية من نواحيه الطبية أو العلمية أو الفسيولوجية ، يتبين له جسامته هذا الافتراء ، إذ أن النوبات الصرعية ليست نوبات نفسية كما يتبادر إلى الذهن ، ولكنها ناتجة عن تغيرات فسيولوجية عضوية فى المخ بدليل أنه أمكن تسجيل تغيرات كهربائية فى المخ أثناء تلك النوبات الصرعية مهما كان مظهرها الخارجى .

ومن المعروف أن هناك مظاهر خارجية عديدة ومختلفة للنوبات الصرعية ، وذلك تبعاً لمراكز المخ التى تبدأ فيها التغيرات الكهربائية : وطريقة وسرعة انتشارها ، فإذا بدأت فى مراكز الحركة كانت النوبة على شكل تقلصات أو تشنجات عضلية ، وإذا بدأت فى مراكز الإحساس كانت النوبة على شكل إحساسات مختلفة ، وإذا بدأت فى مراكز الإبصار كانت النوبة على شكل ذكريات أو أحلام ، وهكذا . . .

ويكفى أن نشرح نوعاً واحداً من النوبات الصرعية الذى يشبه أن يكون هو النوع الذى قيل عنه إن النبى صلى الله عليه وسلم كان مصاباً به ، ألا وهو النوبات الصرعية النفسية .

فى هذه النوبات الصرعية النفسية يكون التغير العقى هو المظهر الأساسى للنوبة ، ولا يفقد المريض شعوره تماماً كما فى الأنواع الأخرى من النوبات ، ويمكنه إلى حد ما تذكر التجارب النفسية التى حدثت له أثناء النوبة بعد انتهائها وتكون هذه التجارب النفسية التى تمر بالمريض أثناء النوبة إما على شكل انفعالات مثل الخوف ، أو على شكل تفكير فى اتجاه معين ، كان يردد المريض فى ذهنه « يجب أن أقول لفلان كذا ، وكذا » أو على شكل خيالات أو هلاوس . وفى هذه الحالة

تمر بذهن المريض ذكريات أو أحلام مرئية أو سمعية أو الإثتان معاً .
ومن أمثلة الهلاوس المرئية ما قالت مريضة من أنها ترى أثناء النوبة
فتاة صغيرة تسير بجانبها من الجهة اليمنى ثم من الجهة اليسرى ، وإن
هذه الصورة تتكرر بنفس الشكل في جميع النوبات ، وبسؤال
المريضة تبين أنها لا يمكنها تبيين ملامح الفتاة أو معرفة ملابسها .

وقالت مريضة أخرى : إنها ترى أثناء النوبة شبحاً أسود يهددها .
ولا يمكنها أن تبين ملامحه وصورته . وتتكرر بنفس الشكل
في جميع النوبات .

ومن أمثلة الهلاوس السمعية قول مريضة إنها تسمع أصواتاً قادمة
من الجهة اليمنى ، ولكنها ليست أصوات أطفالها . كما أنها تسمع
في نوبات أخرى قطعة موسيقية تظن أنها قادمة من المذياع الموضوع
في حجرة الجلوس وبالرغم من أنها سمعت هذه القطعة الموسيقية مراراً
في المذياع ، فإنها لن يمكنها أن تبين الألحان في تلك القطعة
الموسيقية .

وقالت مريضة أخرى : إنها تسمع أثناء النوبة أغنية كانت تغنيها
لها أمها في صغرها . وهذه المقاطع من الأغنية تتكرر بنفس النظام
في جميع النوبات .

من ذلك نرى أن الأحلام والهلاوس التي تمر بذهن المريض
في أثناء النوبة الصرعية ما هي إلا تنبيه لذكريات قديمة مرت بالإنسان ،
أو فكر فيها ثم حفظت في ثنايا المخ ، وقد ثبت ذلك علمياً بأن نهبت
مراكز المخ المصابة بتيار كهربائي من الخارج فشعر المريض بنفس
الهلاوس التي تتنابه أثناء النوبة الصرعية كما نرى من الأمثلة التي

ذكرت أن الهلاوس تتكرر بنفس الشكل بتكرار النوبات ، وقد يكون هناك أكثر من نوع واحد من الهلاوس في المريض الواحد ، ولكنها تتكرر وكلها أو بعضها بالشكل نفسه . كذلك نرى أن المريض يتذكر التجارب النفسية التي مرت به أثناء النوبة عامة ، ولا يمكنه أن يتذكر التفاصيل ، أو أن يصف ما مر به في أثناء النوبة وصفاً دقيقاً .

ثم يستطرد الدكتور يحيى طاهر قائلاً : « إنه بتطبيق ما وصلنا إليه من هذا العرض السريع للصرع على الافتراء الذي يفتره خصوم الإسلام على الوحي الذي أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نجد أن الهلاوس والأحلام التي تمر بذهن المريض بالصرع ما هي إلا أجزاء من ذكريات قديمة نهتها النوبة ، ولا يمكن للمريض بالصرع أن يؤلف أثناء النوبة شيئاً ، فكيف بالقوانين والآداب والقصص والعلوم وغير ذلك مما اشتمل عليه القرآن الكريم ؟ .

كذلك لا يمكن أن تتحسن لغة المريض بالصرع أثناء النوبة أو بعدها . لأن هذا التحسن يحتاج إلى تعليم ، أما الصرع فهو ارتباك مفاجئ في كهرباء المخ ووظيفته ، وقد نزل القرآن بلغة عربية فصحة ، لم يتعلمها النبي صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة .

كما أن الأحلام والهلاوس التي يشعر بها المريض في أثناء النوبات ، الصرعية تتكرر بعضها أو كلها بنفس الشكل بتكرار النوبات ، كما أن المريض لا يمكنه أن يصفها وصفاً دقيقاً ، أما القرآن الكريم فأنزلت آياته واضحة محدودة متممة بعضها بعضاً ، شاملة كل ما يهم الناس في شئون دينهم ودنياهم « فهل يمكن أن يقال بعد هذا العرض العلمي

البحث أن القرآن ما هو إلا هلاوس رجل مصروع !!؟ سبحانه
هذا بهتان عظيم ، وقد كذبوا ورب الكعبة (كبرت كلمة تخرج
من أفواههم إن يقولون إلا كذباً) (١) .

أما بعد . . فقد تبين لنا بالعلم الصحيح ، والحقائق الثابتة أن
هذه الشبهة التي وجهوها إلى الوحي قد اجتثت من أصلها ، كشجرة
خيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار .

وننتقل بعد ذلك إلى رد علمي آخر على لسان الدكتور عبد العزيز
الشريف أخصائي وأستاذ الأمراض الباطنية بكلية طب القصر العيني
وعضو كلية الأطباء بأدنبرة ، يقول عن هذه القرية :

إن المرض علة تصيب أى عضو من أعضاء الجسم ، فتسبب خللاً ،
فيصبح الإنسان لذلك معتلاً ، والشخص المريض هو الذى تغيرت
حالته بسبب المرض ، فأصبح عادى ، إذ يقل فى قوته وصحته ،
وبالتالى فى إنتاجه وتفكيره .

ولم يعرف الطب ، ولم يحدثنا التاريخ العلمى : أن شخصاً أصيب بمرض
فوجهه المرض علماً أو عقلاً أو مقدرة ، إذ أن العقل السليم فى الجسم
السليم . فكيف يقولون عن الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم
أنه أصيب بالصرع ، فتنحسرت لفته تحسناً بحيث لا يمكن أن نقارن بين
حديثه العادى وبين القرآن الكريم الذى يقولون إنه حديثه وهو
فى نوبة الصرع ؟

وكيف بشرع مريض هذه التشريعات التى تعتبر الأسس القويمة
لكل القوانين التى تهدف إلى العدالة والرحمة والتقدم ؟

(١) الكهف : ٥٠ .

وهل يستقيم ذلك ؟ والصرع حالة تتميز بالاختلال المفاجئ
في وظيفة المخ ؟

وكيف يكون ما عند الرسول صلى الله عليه وسلم نوبات
صرع ، وهذه النوبات تسبب للمريض آلاماً شديدة في عضلاته
تكون مصحوبة بالصداع والغثيان ، وتبقى مدة بعد النوبة التي هي
تشنج وتصلب في العضلات ، فإذا غابت عنه حزن ووجل ؟

فقد فتر الوحي عن الرسول صلى الله عليه وسلم فترة فتولاه
الخوف والوجل ، وحزن حتى نزل قول الله سبحانه وتعالى :
(والضحى . والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى) (١) .

فلو كان ما ينزل بالرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي
حالة صرع مصحوب بالصداع والغثيان والألم الشديد ، ما تمنى
الرسول أن يعود إليه هذا الصرع .

والله ما هو بصرع ، إنه الوحي . . لقد هبط الأمين جبريل بعد
أن فتر الوحي أياماً ، واشتأقت نفس رسول الله صلى الله عليه
وسلم إليه ، حتى قال للأمين جبريل : « لقد احتبست عنى حتى
اشتقت إليك ، فقال له جبريل : يا رسول الله ، لقد كنت أشد
شوقاً منك إليك . ولكنى عبد مأمور ، إذا أمرت تنزلت ، وإن
منعت احتبست . ثم تلا عليه قول الله تبارك وتعالى : (وما ننزل إلا
بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك
نسيا . رب السموات والأرض وما بينهما ، فاعبده واصطبر لعبادته
هل تعلم له سمياً) (٢) .

(١) الضحى : ١ - ٣ .

(٢) مريم : ٦٤ - ٦٥ .

هل يشاق الرسول إلى أن تنزل به حالة تسبب له الصداع والآلام ؟
هذا محال لا تقبله العقول ولا تستسيغه الأفهام .

والله ما هو بصرع ، إنما هو الرحي (وكذلك أوحينا إليك
روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن
جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدى إلى صراط
مستقيم . صراط الله الذى له ما فى السماوات وما فى الأرض ، ألا إلى
الله تصير الأمور) (١) .

وننتقل بالحديث إلى طبيب آخر هو الدكتور عز الدين عبد القادر
أستاذ العقاقير بكلية الصيدلة بجامعة القاهرة . يقول :

تخبط الناس منذ بدء الخليقة فى تعريف مرض الصرع ، فمن قائل
إنه يرجع إلى أرواح شريرة تسكن مخ المريض ، إلى قائل إنه من
آثار الآلهة ، وإن كل حركة يحدثها المريض إنما هى من فعل إله
من الآلهة ، ولهذا سموه بالمرض المقدس ، حتى جاء أبقرات العظيم
فى القرن الخامس قبل الميلاد وأظهر كذب هذه الأقوال ، ونادى
بأن هذه الأعراض إنما هى أعراض مرض لا يختلف عن باقى الأمراض
الأخرى ، من أن له سبباً ينشأ عنه ، ووصف نوبات الصرع بدقة
متناهية لا تختلف فى شيء عما تصفه به أحداث المراجع الطبية .
فالمريض يفقد النطق ، ويخرج الزبد من فمه ، وتصطك أسنانه ،
وتقبض يده وتزيع عيناه ، ويفقد الوعى تماماً ، كما يفقد القدرة
على ضبط البول أو البراز . ومن هذا نرى أن مريض الصرع يفقد
حواسه ويفقد السيطرة على نفسه ، فيصبح لا عقل له ، ولا وعى
عنده ، ولا سيطرة على حواسه جميعاً .

(١) الشورى : ٥٢ - ٥٣ .

فليُنظر إلى ذلك من يقول أن القرآن الكريم إنما هو هلوسة مصروع
وحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو في نوبات الصرع ؛
فكيف يمكن لمريض هذه حالته أن يأتي بمجموع الكلم ، والآيات
البيّنات ، والبلاغة التي أعميت جهاذة العرب وأرباب البيان ؟ .

سبحانك ربّي يا من قلت : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على
أن يأتيوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .
ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس
إلا كفوراً) (١) .

ويا من قلت لحبيبيك محمد : (وإنه لتنزِيل رب العالمين . نزل به
الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين) (٢)

ويا من قلت له : (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) (٣)

ويا من تحدث العالم أجمع فقلت : (فليأتوا بحديث مثله إن
كانوا صادقين) (٤) .

وقلت للمعاندين : (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا
بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين) (٥)

كيف يتفق هذا التحدى مع الفرية القائلة إنه هلوسة مصروع ؟
وهل تقوى الهلاوس والخرافات أن تنزل ميدان التحدى الصارخ ؟

(١) الإسراء : ٨٨ - ٨٩ .

(٢) الشعراء : ١٩٢ - ١٩٥ .

(٣) النحل : ٦٠ .

(٤) الطور : ٣٤ .

(٥) البقرة : ٢٣ .

والله إنها الأباطيل والأكاذيب ، لا حياة لها ولا قرار ، أمام
صولة الحق (قل جاء الحق وما يبدئُ الباطل وما يعيد)^(١)

وينتقل بنا الحديث بعد ذلك في هذا الصدد إلى أستاذ أورني
هو ر . ر . ف . بودلي في كتابه حياة الرسول محمد . يقول
في هذا الشأن :

« يذكر الأطباء أن المصاب بالصرع لا يفيق منه ، وقد ذخر عقله
بأفكار لامعة ، وإنه لا يصاب بالصرع من كان في مثل الصحة التي
يتمتع بها محمد ، حتى قبل مماته بأسبوع واحد ، وما كان الصرع
ليجعل من أحد نبياً أو مشرعاً ، وما رفع الصرع أحداً إلى مراكز
التقدير والسلطان يوماً ، وكان من نتابه مثل هذه الحالات في الأزمنة
الغابرة يعتبر مجنوناً أو به مس من الجن ، ولو كان هناك من يوصف
بالعقل ورجاحته فهو محمد » .

ونخلص مما تقدم إلى أن هؤلاء الذين ينجطون في الأمور خبط
عشواء ، ويحاولون أن يكيلوهم الخقد في قلوبهم ، ومرض
في نفوسهم ، إنما يرتد كيدهم في نحورهم ، ويموتون بغيبظهم .

ونعود إلى ما قاله الدكتور يحيى طاهر من حقائق عن الصرع على
ما كان يعتري سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نجده يختلف
أصلاً وظاهراً عنه ، ويقرر بشكل قاطع أن ما كان يعتري الرسول
إنما هو وحى الله جل شأنه ، فإن الحقائق العلمية الطيبة تثبت أن
الهلوس التي يراها أو يسمعها المريض أثناء نوبته ، لا بد أن يكون
قد رآها أو سمعها في طفولته ، أو شبابه ، أو قبل مرضه ، فهل كان

(١) سبأ : ٤٩ .

الرسول صلى الله عليه وسلم قد رأى الأقوام قبل عصر الإسلام ، وعاش بينهم واستمع إلى أحاديث الرسل والأنبياء السابقين ، فردد مثل آيات القرآن الكريم ، التي بلغت قمة السمو ، وعلو الطبقة في الإعجاز المطلق ، مثل قوله تعالى حكاية عن نبي الله نوح : (ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون : فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) (١)

إلى أن تنتهى هذه المشاهد بشأن نوح في قوله تعالى : (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم) (٢) .

هل كان رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم مع نبي الله نوح وعاصره وعاشره وخالطه ثم ردد هذه الوقائع والذكريات في نوبات الصرع ! كلا . . . وألف لا ، إنه الوحي كما قال تعالى في نهاية قصة نوح : (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) (٣) .

وهل كان صلوات الله وسلامه عليه مع يوسف وإخوته ، وما دار في هذه القصة من أحداث ووقائع من أول قوله تعالى : (إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) (٤) .

(١) هود : ٣٨ - ٣٩ .

(٢) هود : ٤٨ .

(٣) هود : ٤٩ .

(٤) يوسف : ٤ .

إلى أن تنتهى القصة بقوله جل شأنه على لسان يوسف :
(رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر
السموات والأرض أنت وليى فى الدنيا والآخرة ، توفى مسلماً
والحقنى بالصالحين) (١) .

هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع يوسف وإخوته
حتى ردد هذه الذكريات فى نوبة من نوبات الصرع ؟ كلا . .
ثم كلا . . إنه الوحي الذى قال فيه مولانا تعقيماً على قصة يوسف
- عليه السلام - موجهاً الخطاب للرسول الكريم
(ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم
وهم يمكرون) (٢) .

وهل كان صلى الله عليه وسلم مع آل عمران وما جرى
فى هذه القصة من أحداث ووقائع ، بدأت بقوله تعالى : (إذ قالت
امرأة عمران رب إني نذرت لك ما فى بطني محرراً فتقبل منى إنك
أنت السميع العليم) (٣) . إلى أن انتهت القصة بقوله تعالى : (يا مريم
اقتنى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين) (٤)

هل كان الرسول الكريم معاصراً لتلك الأحداث ، حتى ظهرت
هذه الذكريات عليه فى حالة من نوبات الصرع ؟ كلا . . ثم كلا . .
إنه الوحي كما قال تعالى تعقيماً على قصة آل عمران : (ذلك من أنباء
الغيب نوحيه إليك ، وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل

(١) يوسف : ١٠١ .

(٢) يوسف : ١٠٢ .

(٣) آل عمران : ٣٥ .

(٤) آل عمران : ٤٣ .

مريم ، وما كنت لديهم إذ يختصمون (١) .

من الذى علم هذا الأذى أخبار السابقين وقصص الأنبياء المكرمين ، وهو الذى لم يختلف إلى أستاذ ، ولم يذهب إلى جامعة ؟ وإذا كان الصرع ترديداً للذكريات مضت تنتاب المريض فى نوبة من نوباته ، فهل يتفق هذا مع الإنباء بما سيحدث فى المستقبل فى مثل قوله جل شأنه : (ألم . غلبت الروم . فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر الله من يشاء وهو العزيز الرحيم) (٢) .

وهل يتفق هذا مع الإخبار بما سيقع من مشاهد القيامة من بعث وجزاء وحساب ونعيم وعذاب ؟ أين نوبات الصرع من هذا الوحي الذى نزل به الروح الأمين جبريل ؟ صدقت يارب العزة إذ تقول وقولك الحق : (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى : ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى) (٣) .

هذا المشهد القرآنى الرائع البديع يثبت حقيقة الوحي ثبوتاً لا وراء فيه ولا لبث ، ولا جدال ولا غموض ، وينبئ أى ضلال أو غواية ،

(١) آل عمران : ٤٤ .

(٢) الروم : ١ - ٥ .

(٣) النجم : ١ - ١٨ .

أو زيف أو بهتان . عن المعصوم صاحب الرسالة الطاهرة ، ويثبت أنه قد رأى الأمين جبريل مرتين ، وهو على صورته الملائكية . يقول في المرة الأولى (علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى) .

فهذه أوصاف لأمين الوحي ، وسفير الأنبياء جبريل ، فهو شديد القوى ، شديد البأس ، ينتقم الله به من أعدائه فيزلزل الأرض تحت أقدامهم ، فتأخذهم الرجفة ، وإذا هم أعجاز نخل خاوية . وجبريل ذو مرة أى ذو هيئة جميلة وذو قوة متينة ، استوى في الأفق الأعلى بهيئته الملائكية الجليلة ، ولما استقر في الآفاق ، دنا وقرب وتدلى هابطاً ، حتى ازداد قرباً من رسول الله ، وصارت المسافة بينه وبين الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم أقل من مقدار قوسين . وأوحى إلى رسول الله ما أوحاه الله ، وأمره بتبليغه إياه . هذه كانت المرة الأولى من المرتين اللتين رأى الرسول صلى الله عليه وسلم فيهما جبريل بهيئته الملائكية .

وكانت المرة الثانية ليلة المعراج عند سدرة المنتهى ، وفيها يقول تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى) أى مرة أخرى (عند سدرة المنتهى . عندها جنة المسأوى) وذلك في العالم العلوى ، والملائ الملائكى (إذ يغشى السدرة ما يغشى) من النور والبهاء والجلال . كان الرسول ثابت البصر ، ملتزماً بالحدود التي رسمها الله له (ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى) إنها آيات الجلال والكمال ، والعظمة والقدرة الباهرة .

وهكذا أثبتت هذه الآيات الكريمة المشهدين اللذين ظهر فيها
كبير أمناء وحى السماء ، وسفير الأنبياء ، في صورته الملائكية الجليلة .

لقاء آخر مع جبريل

وزى من تمام الفائدة أن نسجل هذا المشهد الذى تم فيه لقاء كريم
بين جبريل الأمين ، والسيد الجليل محمد صلى الله عليه وسلم
وكان ذلك على مرأى ومسمع من عدد من صحابة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد دخل جبريل فى صورة بشر ، جميل الهيئة ، بديع
الرؤية ، والصحابة حول رسول الله يحيطون به إحاطة الكواكب
الدرية بصاحب الرسالة ومبعوث العناية الإلهية .

وها نحن أولاء نستمتع إلى الإمام مسلم رضى الله عنه وهو
يروى لنا هذا الحديث الجليل القدر ، العظيم الأثر ، الذى وقف
الأمين جبريل فيه موقف السائل ، ووقف سيدنا محمد - صلى الله
عليه وسلم - موقف الأستاذ المحيب :

عن عبد الله بن عمر قال : حدثني أبي عمر بن الخطاب ، قال :
« بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ،
إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يرى
عليه أثر السفر . ولا يعرفه منا أحد . حتى جلس إلى النبي - صلى
الله عليه وسلم - فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه .
قال يا محمد ، أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله - صلى الله
عليه وسلم : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .
وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان . وتحج البيت إن

استطعت إليه سيلاً . قال : صدقت . قال : فعجبنا له يسأله ويصدقهم .
 قال : فأخبرني عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه
 ورسوله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال صدقت :
 قال : فأخبرني عن الإحسان ، قال : أن تعبد الله كأنك تراه ،
 فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال : فأخبرني عن الساعة . قال : ما المسئول
 عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرني عن أماراتها . قال : أن تلد
 الأمة ربها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاة يتطاولون
 في البنيان . قال : ثم انطلق فلبث ملياً . ثم قال لي : يا عمر أتدري
 من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم
 يعلمكم دينكم .

هذا نص صريح وحديث صحيح ، يدل دلالة قاطعة على أن الوحي
 حقيقة ؛ شهد بها الجمع الغفير الذين رأوا الأمين جبريل رؤية لا يعترها
 شك ، ولا يطرأ عليها لبس ، رأوه في أى صورة ؟ في صورة بشرية
 جميلة : عبر عنها ، عملاق الإسلام عمر بن الخطاب بقوله « طلع علينا »
 وفي التعبير « بطلع » إشارة إلى أن ذلك الذى رأوه يشبه في جماله
 الكواكب النيرة ، كالشمس والقمر ، ثم بعد ذلك وصفه بقوله :
 « شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر »
 فهذه المواصفات تدل على ثقة الرائي للمرئى رؤية واضحة ، وضوح
 الشمس في كبد السماء . إنها الحقائق الثابتة التي لا يجادل فيها إلا مكابر ،
 لم يصل نور الإيمان إلى قلبه ، ولم يشرح للإسلام صدره .

سيدى أبا القاسم يا رسول الله :

يوحى إليك النور في ظلماته متتابعاً تجلى به الظلماء

والآى ترى والخوارق جمعة جبريل رواح بها غداء
دين يشيد آية فى آية لبناته السورات والأضواء
الحق فيه هو الأساس وكيف لا والله جل جلاله البناء

فاللهم إنا أصبحنا نشهدك ونشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع
خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً
عبدك ورسولك .

رؤيا الأنبياء وحى

من الأشياء التى يجب على المؤمن أن يعتقد بها أن رؤيا الأنبياء
فى منامهم وحى من الله إليهم . ولقد ذكر القرآن العظيم نماذج من هذه
الرؤيا . فهاهو خليل الرحمن إبراهيم يبشر بغلام حلیم ، ثم يرى
فى المنام أنه يذبحه بعد ما بلغ معه السعى ، فيصحه لينفذ أمر الله فيه ،
فلو لم تكن الرؤيا وحياً ، ما عزم إبراهيم على تنفيذ الأمر .
وهذا هو المشهد القرآنى ينطق بالجلال ويفيض بالرحمة :

(وقال إني ذاهب إلى ربى سيهدين . رب هب لى من الصالحين .
فبشرناه بغلام حلیم فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إني أرى فى المنام
أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى
إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن يا إبراهيم
قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين . إن هذا هو البلاء المبين .
وفديناه بذبح عظيم) (١) .

(١) الصفات : ٩٩ -- ١٠٧ .

نموذج آخر

وبحدثنا القرآن عن رؤيا رآها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ونفذها ، رأى في المنام أنه يزور بيت الله الحرام معتمراً ؟ وأعلن ذلك في صفوف أصحابه ، فخرجوا معه ولبوا نداءه ؟ وطافوا بالبيت الحرام . وفي هذا يقول تعالى : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً)^(١).

نماذج أخرى

وهذه نماذج عديدة من الوحي بطريق الرؤيا ، وقد آثرنا أن نسوق هذا الحديث لما له من قدر جليل ، ولما فيه من تشريع وخلق نبيل :

روى أبو موسى المديني في كتابه الترغيب والترهيب من حديث الفرج بن فضالة قال : حدثنا هلال أبو جبلة عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في صفة بالمدينة ، فقام علينا فقال : « إني رأيت رجلا من أمي قد احتوشته الشياطين ، فجاء ذكر الله فطير الشياطين عنه . ورأيت رجلا من أمي قد احتوشته ملائكة العذاب ، فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم . ورأيت رجلا من أمي يلهث عطشاً . كلما دنا من حوض منع وطرده ، فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاها وأرواه ورأيت رجلا من أمي ورأيت النبيين جلوساً حلقاً حلقاً : كلما دنا إلى حلقة طرده ومنع ، فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده

(١) الفتح : ٢٧ .

فأقعده إلى جنبي . ورأيت رجلا من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة ، وعن يمينه ظلمة ، وعن يساره ظلمة ، ومن فوقه ظلمة ، وهو متحجر فيه ، فجاء حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة ، وأدخلاه في النور . ورأيت رجلا من أمتي يتقى وهج النار وشررها ، فجاءته صدقته فصارت ستراً بينه وبين النار ، وظلا على رأسه . ورأيت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه ، فجاءته صلته لرحمه فقالت يا معشر المؤمنين إنه كان وصولاً لرحمه فكلموه ، فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم . ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الزبانية ، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة . ورأيت رجلا من أمتي جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب ، فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل . ورأيت رجلا من أمتي قد ذهب صحيفته من قبل شماله ، فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه . ورأيت رجلا من أمتي خف ميزانه ، فجاءه أفراطه (أى أولاده الذين ماتوا صغاراً) فثقلوا ميزانه . ورأيت رجلا من أمتي قائماً على شفير جهنم ، فجاءه رجاؤه من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى . ورأيت رجلا من أمتي قد هوى في النار فجاءته دمعه التي بكى من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك . ورأيت رجلا من أمتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف ، فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل ، فسكن روعه ومضى . ورأيت رجلا من أمتي يزحف على الصراط يحبو أحياناً ويتعلق أحياناً ، فجاءته صلته فأقامته على قدميه وأنقذته ، ورأيت رجلا من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه . فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة .

قال الحافظ أبو موسى : هذا حديث حسن جداً ، رواه عن سعيد
ابن المسيب عمر بن ذر وعلى بن زيد بن جدعان .

آيات كبرى

ويجدر بنا ، ونحن بصدد الحديث عن النماذج التي رآها رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن نسجل هنا هذه المشاهد وتلك الصور
التي رآها السيد الجليل محمد - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء
والمعراج ، رآها بعيني بصره ، ووقعت أمامه ، في هذا الطواف
المبارك ، الذي صحبه فيه أمين السماء جبريل ، وكان الرسول يسأل
عما يرى ، وجبريل الأمين يجيب ويوضح ، حتى يكون لنا فيما رآه
الرسول العبرة والموعظة والدروس النافعة الناجعة ، التي تسمو بالمجتمع
إلى الدرجات العلى . وترتفع به من غياهب الظلمات وفلول الدجى ،
إلى باذخ العلياء وأضواء اليقين .

لقد حدثنا الكتاب العزيز عن هذه المشاهد . فقال : (سبحان
الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى
الذي باركنا حوله لئريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) (١)
وقال في مشهد المعراج : (ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من
آيات ربه الكبرى) (٢) .

فبين قوله جل شأنه (لئريه من آياتنا) وقوله تبارك وتعالى :
(لقد رأى من آيات ربه الكبرى) تتضح لنا هذه المشاهد وضوحاً
كله دروس مستفادة .

(٢) النجم : ١٧ ، ١٨ .

(١) الإسراء : ١ .

...the ... of ...

...the ... of ...

...the ... of ...

...the ... of ...

...the ... of ...

...the ... of ...

...the ... of ...

النهى عن الغيبة

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لما عرج بي إلى ربى عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخشمون بها وجوههم وصدورهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم » .

هذا تصوير مريع ورهيب . وهل خلت مجتمعات المسلمين من هذه الجريمة النكراء والرذيلة الشنيعة ؟ .

هل خلت مجالس الناس من الخوض في الأعراض ؟ .

إن الغيبة كما قال ابن عباس : هي إدام كلاب الناس .

هل خلت مجالسنا من تعاطى هذه الفاكهة الفاسدة العفنة التي تخمر فيها جرائم الانحلال ؟

إن الغيبة هي ذكرك أخاك بما يكره وهو غائب ، فإن كان فيه فقد اغتبتته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته . فأنت بين أمرين أحلاهما مر .

إحفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغك إنه ثعبان

وقد صدق الله تبارك اسمه إذ يقول : (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضاً ، يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله تواب رحيم) (١) .

وصدق من قال :

إذا شئت أن تحبها سلباً من الأذى وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرئ فكلك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك مساوئاً فصنها وقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى وفارق ولكن بالتي هي أحسن

إن من غربل الناس نخلوه ، فإن البر لا يبلى ، والذنب لا ينسى .
والديان لا يموت ، إعمل ما شئت كما تدين تدان :

إن هؤلاء الناس كما صورهم الحديث السابق لهم أظفار من نحاس
بمخمشون بها وجوههم وصدورهم ، أى أن الجزء من جنس العمل ،
فإنهم كما شوهوا الناس ، وذكروا عيوبهم ، وهتكوا سترهم .
فإنهم يشوهون أنفسهم بأنفسهم ، أظفار رهيبة تمخس الوجوه وهى
مجامع المحاسن ، فيها الأعين والأنوف والأفواه والجباه .

صدقت يا رب العزة إذ قلت : (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة
فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم
لا تعلمون) (١) .

فحذار حذار ، وإياك أن تخوض فى أعراض الناس ، أو تجالس
قوماً يخوضون فى أعراضهم . قال جل شأنه : (وإذا سمعوا اللغو
أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى
الجاهلين) (٢) .

(١) النور : ١٩ .

(٢) القصص : ٥٥ .

صـور مشرفـة

وهذه صورة مشرقة بنور الإيمان ، تفيض جلالاً وكمالاً وجلالاً ،
إنه نبي الله موسى ، وقد رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم
في هذه الليلة قائماً يصلي في قبره .

فغن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « مررت ليلة أسرى بي على موسى عليه السلام قائماً يصلي
في قبره » .

ما أجمل الصلاة !!

لو لم تكن رأس العبادات لعدت من صالحة العادات ، رياضة
أبدان ، وطهارة أردان ، وتهذيب وجدان ، وشقى فضائل : يشب
عليها الجوارى والولدان ، أصحابها هم الصابرون والمثابرون ، وعلى
الواجب هم القادرون .

عودتهم البكور وهو مفتاح باب الرزق ، وخير ما يعالج به العبد
مناجاة الرازق ، وأفضل ما يرود به المخلوق التوجه إلى الخالق .

أنظر جلال الجمع ، وتأمل أثرها في المجتمع ، وكيف ساوت
العلية بالزعم ، مست الأرض الجباه ، فالناس أكفاء وأشباه ، الرعية
والولاية شرع في عتبة الله تعالى ، خر الجمع للمناخر ، فالصف الأول
كالاخر ، لم يرفع المتقدم تقدمه ، ولم يضع المتأخر تأخره .

ما أصدقك يا رب العزة : وقد وصفت نبيك وأصحابه بقولك (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيأثم في وجوههم من أثر السجود) (١) .

ما أصدقك وأنت تقول : (أنزل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) (٢) .

وما أصدق نبيك المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام إذ يقول : « الصلاة كهف المؤمن » أى مقر سكينته واستقرار نفسه .

وقد كان صلوات الله وسلامه عليه إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة . وكان يقول : « أرحنا بها يا بلال » .

فاللهم لا تحرمنا أجره . ولا تفتنا بعده ، واجعلنا من المحافظين على أداء فريضتك ، الخاشعين في صلواتنا ، واستجب دعاءنا ، واغفر ذنوبنا . وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار .

(١) الفتح : ٢٩ .

(٢) التكوير : ٤٥ .

صـورمـختلـفة

قال أبو جعفر بن جرير الطبري : حدثنا يونس ، حدثنا عبد الله ابن وهب ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن الزهري : عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، عن أنس بن مالك قال : « لما جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق فكأنها حركت ذنبها ، فقال لها جبريل : مه يا براق فوالله ماركبك مثله . وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو بعجوز على جانب الطريق : فقال : ما هذه يا جبريل ؟ قال : سر يا محمد ، قال : فسار ماشاء الله أن يسير ، فإذا شيء يدعوه متنجياً عن الطريق ، فقال : هلم يا محمد ، فقال له جبريل : سر يا محمد ، فسار ماشاء الله أن يسير . قال : فلقبه خلق من خلق الله ، فقالوا : السلام عليك يا أول ، السلام عليك يا آخر ، السلام عليك يا حاشر . فقال له جبريل : أردد السلام يا محمد ، فرد السلام ، ثم لقيه الثانية فقال له : مثل مقالته الأولى ، ثم الثالثة كذلك حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فعرض عليه الخمر والماء واللبن ، فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن ، فقال له جبريل : أصبت الفطرة ، ولو شربت الماء لفرقت وغرقت أمتك ، ولو شربت الخمر لغويت ولغوت أمتك . ثم بعث له آدم فن دونه من الأنبياء عليهم السلام ، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ، ثم قال له جبريل : أما العجوز التي رأيت على جانب الطريق ، فلم

يبقى من الدنيا إلا كما بقي من عمر تلك العجوز ، وأما الذي أراد أن
تميل إليه فذاك عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه . وأما الذين سلموا
عليك فإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام . وهكذا رواه الحافظ
البيهقي في دلائل النبوة .

في هذا المشهد ظهرت الدنيا في صورة العجوز الشماء ، في صورة
زوال وانتهاء (إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب وهو وزينة وتفاحر
بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم
يهاج قتره مصفراً ثم يكون حطاماً ، وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة
من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور . سابقوا إلى مغفرة
من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا
بالله ورسوله ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (١)

صدقت يا رب العزة . فالدنيا لا يغتر بها إلا كل مخدوع ، فإنها
إذا حلت أوحلت ، وإذا كست أوكست وإذا جلت أوجلت .
وكم من ملك رفعت له علامات ، فلما علامت .

هي الأيام لا تبقى عزيزاً وساعات السرور بها قليلة
إذا نشر الضياء عليك نجم وأشرق فارتقب يوماً أفوله

إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يصف العلاج للذين تغرهم
الدنيا بزخارفها وتلهيهم بخداعها فيقول : « كن في الدنيا كأنك
غريب أو عابر سبيل ، وعد نفسك من أهل القبور » .

وقد صدق أحد الحكماء إذ يقول :

(١) الحديد : ٢٠ ، ٢١ .

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكى
فلا يغركموني ابتسام فقولى مضحك والفعل مبكى
أخا الإسلام :

صم عن الدنيا وافطر على الموت . وأعد الزاد لليلة صباحها يوم
القيامة .

وفي هذا المشهد رأى الرسول صلى الله عليه وسلم عدو الله
إبليس ، يدعو ويقول له هلم إلى ، وجبريل يقول له سر يا محمد .
وهكذا يمثل لنا هذا المشهد الصراع بين الخير والشر من يوم خلق الله
آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

قال جل شأنه لآدم وحواء : (اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو
فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض
عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب
لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها
وكذلك اليوم تنسى (١) .

صدقت يا رب العالمين يا من قلت : (والله يريد أن يتوب عليكم
ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً) (٢) .

وحيث تقول : (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو
حزبه ليكونوا من أصحاب السعير . الذين كفروا لهم عذاب شديد ،
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) (٣) .

(١) طه : ١٢٣ - ١٢٦ .

(٢) النساء : ٢٧ .

(٣) فاطر : ٦ - ٧ .

وفي هذا المشهد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجانب المشرق الوضاء كوكبة من الأنبياء إبراهيم وموسى وعيسى يلقون عليه السلام ، فيقول له الأمين جبريل : أردد عليهم السلام . صلوات الله وسلامه عليك يا حبيب الله ، وعلى إخوانك الأنبياء الذين قلت في شأنهم : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فإنكم جميعاً عملتم في معسكر واحد وهو معسكر التوحيد ، وتحت لواء واحد هو قول لا إله إلا الله ، وقلت وقولك الحق « أفضل ما قلته أنا والنيبون من قبلي . لا إله إلا الله » .

وترى الأمين جبريل في هذا المشهد يقدم للسيد الجليل رسول الله صلى الله عليه وسلم لبناً وخبزاً وماء ، فيختار النبي اللبن ويشربه ، ويخبره رفيق الرحلة أنه اختار الفطيرة .

وهل هناك صفاء ونقاء أعظم من صفاء اللبن .

وهل هناك صفاء ونقاء أعظم من صفاء الإسلام والتوحيد ؟
(وإن لكم في الأنعام لعلبة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين) (١) .

وقد كان من سنة النبي صلى الله عليه وسلم إذا أكل طعاماً أن يقول : « اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا خيراً منه » أما إذا شرب اللبن فكان يقول : « اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه » .

ولم يقرب الرسول الخمر فإنها أم الكبائر ، وما من مجتمع يشغل بالخمرة والمرأة والوتر إلا كان الذل رائده ، والخزى حليفه ، وأذاقه الله لباس الجوع والخوف ، فهذا هو الثالث المدمر ، ومن ثم فإن

(١) النحل : ٦٦ .

الله تبارك اسمه لعن الخمر وشاربها وبائعها وبشترها وحااياها والمحمولة
إليه وآكل ثمنها (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب
والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما
يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر
ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) (١) .
انتبهنا والحمد لله .

ولعل سائلا يقول : لم لم يشرب الرسول الماء ؟

ونحن نقول : إذا وجد اللبن فإن فيه الرى والغذاء ، وفيه الغنى
والكفاية ، أليس قد اشتمل على جميع العناصر الغذائية ؟ فهل نستبدل
الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟ وكيف الذى شرب هو سيد العقلاء
وخير الأنبياء ؟ .

The first part of the paper discusses the importance of the
role of the state in the development of the economy.
It is argued that the state should play a leading role
in the development of the economy, particularly in the
early stages of development. The state should invest in
infrastructure, education, and health care, and should
provide a stable and predictable environment for investment.

The second part of the paper discusses the role of the
private sector in the development of the economy. It is
argued that the private sector should play a leading role
in the development of the economy, particularly in the
later stages of development. The private sector should
invest in infrastructure, education, and health care, and
should provide a stable and predictable environment for investment.

أهل السعادة وأهل الشقاوة

قال صلى الله عليه وسلم « لما عرج بي إلى السماء الدنيا ، قال جبريل لخازن السماء : إفتح ، قال : من هذا ؟ قال : جبريل . قال هل معك أحد ؟ قال معى محمد صلى الله عليه وسلم قال : أرسل إليه ؟ قال : نعم . فلما فتح علون السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة إذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى ، فقال : مرحباً بالنبي الصالح والإبن الصالح . قال : قلت لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسمة بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التى عن شماله أهل النار ، فإذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر عن شماله بكى » .

هذا مشهد تنبسط له النفس مرة ، وتنقبض له مرة أخرى ؛ تنبسط لأهل اليمين وما هم فيه من النعيم المقيم (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين . فى سدر مخضود . وطلح منضود . وظل مبلود . وماء مسكوب وفاكهة كثيرة . لا مقطوعة ولا ممنوعة . وفرش مرفوعة . إنا أنشأناهن إنشاء . فجعلناهن أبكاراً . عربياً أتراباً . لأصحاب اليمين . ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين . وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال . فى سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم) (١) .

(١) الرواقمة : ٢٧ - ٤٤ .

THE HISTORY OF THE

The first thing I noticed when I stepped out of the plane was the fresh air. It felt like a warm blanket after a long journey. The pilot smiled at me as we taxied down the runway. The engine sounds were a comforting hum. I looked out the window at the vast landscape below. The horizon line was clear and bright. The sun was just starting to rise, painting the sky in soft, golden hues. The clouds were wispy and white, scattered across the blue expanse. I felt a sense of peace and tranquility. The world seemed so quiet and still. I took a deep breath, savoring the moment. The plane began to move forward slowly, then more quickly. The ground below became a blur of green and brown. I watched as the runway stretched out ahead of me. The pilot's voice came over the intercom, announcing our arrival. I felt a sense of accomplishment and relief. The journey was over, but the memories would last a lifetime. I stepped out of the plane, feeling a renewed sense of energy and purpose. The world was waiting for me, and I was ready to embrace it all.

The next day, I went to the beach. The sand was soft and warm under my feet. The waves were crashing against the shore, creating a rhythmic sound. I walked along the water's edge, feeling the cool sand between my toes. The sun was shining brightly, and the sky was a clear, vibrant blue. I took a long walk, enjoying the view and the fresh air. The beach was peaceful and quiet, with only the sound of the waves and the occasional seagull. I felt a sense of freedom and joy. The world was so beautiful, and I was so lucky to be here. I took a few photos, capturing the perfect moments. The beach was a beautiful sight, and I was glad to have found it. I walked back to the car, feeling a sense of satisfaction and contentment. The world was so full of beauty, and I was so grateful to have experienced it all. I took a deep breath, feeling a sense of peace and tranquility. The world was waiting for me, and I was ready to embrace it all.

الحلال والحرام

صدق الله العظيم إذ يقول : (قل لا يستوى الخبيث والطيب ، ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولى الأبواب لعلكم تفتحون) (١) وصدق جل شأنه إذ يقول : (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون) (٢) .

وقد قال سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه : « يا رسول الله سل الله أن يجعلني مجاب الدعوة ، فقال له سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : يا سعد ، أظب مطعمك تكن مستجاب الدعوة » . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : « من نبت حسمه من حرام فالنار أولى به » .

وهذا مشهد من مشاهد المعراج ، يقول فيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : « . . ثم أوتيت بالمعراج الذى كانت تعرج عليه أرواح الأنبياء قال : فصعدت أنا وجبريل فإذا أنا بملك يقال له إسماعيل وهو صاحب السماء الدنيا ، وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنوده مائة ألف ملك . قال : قال الله عز وجل (وما يعلم جنود ربك إلا هو) قال : فاستفتح جبريل باب السماء قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد بعث إليه ؟ قال : نعم ، فإذا أنا بآدم كهيئته يوم خلقه الله عز وجل على صورته ، فإذا هو تعرض عليه أرواح ذريته من المؤمنين

(١) المائة : ١٠٠ .

(٢) المائة : ٨٨ .

فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين ، ثم تعرض عليه
أرواح ذريته الفجار فيقول : روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها
في سبعين ، فضت هنية فإذا أنا بأخونة^(١) عليها لحم مشرح^(٢) ليس
يقربها أحد ، وإذا أنا بأخونة أخرى عليها لحم قد أروح وأنن^(٣)
عندها أناس يأكلون منها ، قلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء
من أمتك يأتون الحرام ويتركون الحلال » .

فاعجب معي يا أخى لقوم رأوا الحلال فاجتنبوه ، ورأوا الحرام
فأكلوه !!

إن أخطر مرحلة تصير إليها المجتمعات أن يصير المعروف منكراً
والمنكر معروفاً . فإذا كان كذلك فويل ثم ويل لأهل الأرض من
رب السماء .

(وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم
شديد)^(٤) .

(١) الأخونة : هي موائد الطعام .

(٢) اللحم المشرح : هو اللحم الطيب الشهي .

(٣) هو الذي تغير طعمه وريحه .

(٤) هود : ١٠٢ .

مال اليتيم

(وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم ، فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً . إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) (١) .

إذا أردت أن تؤمن على حياة أبنائك من بعدك ، فعليك أن تضع هذه الأسهم في بنك الرحمن ، جل جلاله : تقوى الله ، والقول السديد ، واجتناب أكل مال اليتامى ، فإن التقوى تنفع الذرية ، وما أجمل ما جاء في القرآن الكريم : (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما ، وكان أبوهما صالحاً ، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما . رحمة من ربك) (٢)

وما أجمل قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - « خير البيوت عند الله بيت فيه يتيم مكرم » .

وما أعظم قوله مشيراً بأصبعه السبابة والوسطى « أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة » .

فاذا رأى ليلة المعراج عن أكل مال اليتيم

قال - صلى الله عليه وسلم : « ثم مضيت هنيئة فإذا أنا بأقوام مشافرههم كمشافر الإبل . قال فتفتح أفواههم ، فيلقمون من ذلك الجمر ، ثم يخرج من أسافلهم ، فسمعتهم يضحجون إلى الله عز وجل ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء من أمتك الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً » .

(٢) الكهف : ٨٢ .

(١) النساء : ١٠ ، ٩ .

THE HISTORY OF THE

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

جريمة الزنا

الزنا عدوان على الأعراض ، ولذا فهو أخطر مرض من أمراض اجتماعات ، إذا ابتليت به أمة ضاعت كرامتها ، وانحلت عراها ، ودب الضعف والخور في أبنائها . وقد صدق الحديث الشريف إذ يقول « ما تركت بعدى فتنة أشد على الرجال من النساء » .

والذى يقول : « اتقوا الدنيا ، واتقوا النساء » .

وكل أمة ينتشر فيها هذا الوباء الخلقى ، فإنها تستحل بنفسها غضب الله .

ولقد جاء تعبير القرآن الكريم حازماً جازماً فى النهى عن هذه الجريمة ، إذ يقول جل شأنه : (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) (١) .

إن المتأمل فى هذا النص يجد فيه نهياً عن قرب الزنا ، أى أن الله تعالى حرم علينا أن نسلك طريقاً يقربنا من الزنا ، فالخلوة بالمرأة الأجنبية حرام ، والنظرة ، واللمس ، وغير ذلك مما يؤدى إلى إثارة الغرائز ، وجموح الشهوة ، كل ذلك يعتبر قريباً إلى هذه الجريمة النكراء . ولذا فإن الله نهى عن القرب ، وهذا منطوق الآية الكريمة ، فيكون مفهومها النهى المشدد عن الزنا . وهذا ما يفهمه كل عاقل . وأما عاقبة الزنا وسبيله فحدث عن ذلك ولا حرج .

قال صلى الله عليه وسلم : « الزنا يورث الفقر » .

وقال : « بشر الزانى بالفقر ولو بعد حين » .

وقال : « لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم » .

فما عاقبة الزناة في الدار الآخرة ؟ وكيف رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به ؟

يقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم : « ثم مضت هنية فإذا بنساء تعلقن بثديهن فسمعتن يضحجن إلى الله عز وجل ، قلت : يا جبريل من هؤلاء النساء ؟ قال : هؤلاء الزناة من أمتك » .

الإسلام وصيانة العرض

يحرص الإسلام حرصاً شديداً على المحافظة على الأعراس من الدنس ، والقذف ، والسمة السيئة ، ولذلك فإنه حرم الزنا ودواعيه ، ودعا إلى الزواج ورجب فيه ، ونهى عن كل ما يثير الغرائز الجنسية ، وأن الزواج هو الطريقة المثلى لإنجاب السلالة التي تكون مجتمعاً نظيفاً لا غناء فيه ولا رقص ولا اختلاط وإنما عزة وشرف وطهر ونقاء . ومن ثم فإن الزنا جناية قانونية في الإسلام تستحق أقصى العقوبة ، لأنه وخيم العاقبة ، ومفض إلى كثير من الشرور والجرائم .

ولقد كان الإسلام ملائماً للفطرة البشرية عندما حرم هذه الجناية التي تتعلق بالأعراض ، فالزنا سبب فتاك من أسباب الأمراض الخطيرة التي إذا حلت بالمجتمع قوضت بنيانه الصحي ، ودمرته تدميراً ، كذلك ، فإن هذه الجريمة سبب من أسباب سفك الدماء وإزهاق الأرواح ، إذ أن الإنسان لا يرضى أن يعتدى أحد على عرضه ويرى أن القتل هو الوسيلة الوحيدة لغسل العار والشار .

كذلك فإن الزنا يدمر نظام البيت ويفسد علاقات الأسرة ،
ويعرض الأولاد لسوء التربية مما يؤدي إلى انتشار الجريمة والانحراف
والتشريد .

عفوا تعف نساؤكم في المحرم
من يزن في بيت بألني درهم
من يزن يزن به ولو بجداره
إن الزنا دين فإن أقرضته
ياهاتكا ستر الرجال وقاطعاً
لو كنت حرّاً من سلالة طاهر
وتجنبوا ما لا يليق بمسلم
في بيته يزن في غير الدرهم
إن كنت يا هذا لبيباً فافهم
كان الوفا من أهل بيتك فاعلم
سبل المودة عشت غير مكرم
ما كنت هتاكاً لحرمة مسلم

إن في الزنا ضياعاً للأنسب ، وإعطاء للمال لغير مستحقه عند
الميراث . وفيه غش وخداع للزوج ، إذ أنه سيدخل عليه من ليس
منه ، وأيما امرأة فعلت ذلك فقد برئت منها ذمة الله ، فضلاً عن أن
هذه الجناية عمل بهيمي لا يأتيه إلا كل مستهتر أئيم ، لا يعبا بقيم ،
ولا يحترم مسئولية .

وقصارى القول أنه قد ثبت ثبوتاً علمياً لا مجال للشك فيه . عظم
ضرر الزنا ، وأنه من أكبر الأسباب الموجبة للفساد الاجتماعي ،
والانحطاط الخلقي ، فضلاً عن أنه البؤرة الشنيعة للأمراض التناسلية ،
ولسوف نورد رأى الطب والعلم الحديث في الأمراض المترتبة على
الزنا .

والزنا مروج للعزوبة واتخاذ الخليلات ، ومن ثم كان أكبر باعث
على الترف والإسراف والعهر والفجور .

لهذا كله جعل الإسلام عقوبة الزنا أقصى عقوبة . وإذا كانت هذه
العقوبة تبدو قاسية فإن آثار الجريمة المترتبة عليها أشد ضرراً على المجتمع .

ومن حكمة الإسلام أنه يعقد موازنة بين الضرر الواقع على المذنب ،
والضرر الواقع على المجتمع ، ويقضى بارتكاب أخف الضررين .
وهذه هي العدالة .

ولا شك أن ضرر عقوبة الزنا لا توزن بالضرر الواقع على المجتمع
من إفشاء الزنا ، ورواج المنكر ، وإشاعة الفحش والفجور .

إن عقوبة الزنا إذا كان يضار بها المجرم نفسه ، فإن في تنفيذها
حفظ النفوس وصيانة الأعراس ، وحماية الأسر التي هي اللبنة
الأولى في بناء المجتمع ، وبصلاحها يصلح ، وبفسادها يفسد .

إن الأمم بأخلاقها الفاضلة وبأدابها العالية ، ونظافتها من الرجس
والتلوث وطهارتها من التلذذ والتسفل ، على أن الإسلام من جانب
آخر ، كما أباح الزواج ، أباح التعدد ، حتى يكون في الحلال مندوحة
عن الحرام ، ولكي لا يبقى عذر لمقترف هذه الجريمة ، وقد احتاط
في تنفيذ هذه العقوبة بقدر ما أخاف الزناة وأرهبهم .

آراء الفقهاء

سبق أن بينا العقوبة الأخروية للزناة ، وسجلنا في ذلك مشهداً رآه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء .

والآن نبحث آراء الفقهاء في هذه الجناية الخطيرة على الأعراس .

يرى كثير من الفقهاء أن تقرير عقوبة الزنا كانت متدرجة ،
كما حدث في عقوبة تحريم الخمر - فكانت عقوبة الزنا في أول الأمر
الإيذاء بالتوبيخ والتعنيف . يقول الله جل شانہ : (واللذان يأتياها منكم

فآذوهما ، فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما) (١)

ثم تدرج الحكم من ذلك إلى الحبس في البيوت . يقول الله تعالى :
(واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ،
فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله
هن سبيلا)^(١) .

ثم استقر الأمر ، وجعل الله السبيل ، فجعل عقوبة الزاني البكر
مائة جلدة ، ورجم الثيب حتى يموت .

وكان هذا التدرج يرتقى بالمجتمع ويأخذ به في رفق وهوادة إلى
العفاف والطهر ، وحتى لا يشق على الناس هذا الانتقال ، واستدلوا
لهذا بالحديث الذي رواه عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : « خذوا عني ، قد جعل الله هن سبيلا :
البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم .
رواه مسلم وأبو داود والترمذى .

رأى آخر

ويرى بعض العلماء أن آيتي سورة النساء المتقدمتين وهما قوله
تعالى : (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة
منكم ، فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل
الله هن سبيلا . واللذان يأتياها منكم فأذوهما ، فإن تابا وأصلحا
فأعرضوا عنهما) . يرى أن الظاهر من هاتين الآيتين أنهما
تتحدثان عن حكم السحاق واللواط ، وحكهما يختلف عن حكم
الزنا المقرر في سورة النور .

(١) النساء : ١٥ .

فآية الأولى في السحاق (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم)
والثانية في اللواط (واللذان يأتيانها منكم فأذوهما) . .

ويكون المعنى على ذلك أن النساء اللاتي يأتين الفاحشة وهى السحاق
الذى تفعله المرأة مع المرأة فأمسكوهن في البيوت حتى الموت ، بعد
الإشهاد عليهن حتى لا يكون هناك اختلاط بينهن ، أو يجعل الله لهن
سبيلا إلى الخروج ، وذلك بالتوبة أو الزواج المغنى عن المساحقة .

والرجلان اللذان يأتيان الفاحشة ، وهى اللواط ، فأذوهما ، بعد
ثبوت ذلك بالشهادة أيضاً ، فإن تابا قبل إيدأتهما ، بإقامة الحد عليهما ،
فإن ندما وأصلحا كل أعمالهما ، وطهرا نفسيهما ، فأعرضوا عنهما
بالكف عن إقامة الحد عليهما .

أنواع الزناة

الزاني إما أن يكون بكراً ، أو محصناً ولكل منهما حكم يخصه .

حد البكر

اتفق الفقهاء على أن البكر الحر إذا زنى فإنه يجلد مائة جلدة ،
سواء الرجال والنساء ، لقول الله سبحانه وتعالى في سورة النور في ذلك :
(الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما
رأفة ^(١) في دين الله ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد
عذابهما طائفة من المؤمنين) ^(٢) .

(١) في هذا أنهى عن تطويل الحدود . وقيل هو نهى عن تخفيف الضرب لا يحصل

(٢) النور :

وجع معتد به .

الجمع بين الجلد والتغريب^(١)

والفقهاء وإن اتفقوا على وجوب الجلد ، فإنهم قد اختلفوا
في إضافة التغريب إليه :

قال الشافعي وأحمد بن حنبل : يجمع إلى الجلد التغريب مدة عام ،
لما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة وزيد بن خالد : « أن
رجلا من الأعراب أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
يا رسول الله أنشدك الله لإقضيت لي بكتاب الله ، وقال الخصم الآخر
وهو أفته منه : نعم فاقض بيننا بكتاب الله وأذن لي ، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : قل . قال : إن ابني كان عسيفاً - أي
أجيراً - علي هذا ، فزني بامرأته ، وإني أخبرت أن علي ابني الرجم ،
فافتديت منه بمائة شاة ووليدة ، فسألت أهل العلم فأخبروني أن
علي أبني جلد مائة وتغريب عام ، وأن علي امرأة هذا الرجم ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لأقضين
بينكما بكتاب الله : الوليدة والغنم رد عليك^(٢) ، وعلى ابنك جلد
مائة وتغريب عام ، واغد يا أنيس - رجل من أسلم - إلى امرأة هذا ،
فإن اعترفت فارجمها . قال : فغدا عليها فاعترفت ، فأمر بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم . فرجمت .

وروى البخاري عن أبي هريرة « أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قضى فيمن زنى ولم يحصن بنى عام وإقامة الحد عليه » .
وأخرج مسلم عن عبادة بن الصامت أن الرسول صلى الله عليه
وسلم قال : « خذوا عني . خذوا عني ، وقد جعل الله لهن سبيلا :

(١) أي النى .

(٢) أي مردودة عليك .

- البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم .
 والمراد بالتغريب هو نفيه إلى مسافات بعيدة حتى يبعد شره .
 ويكفي الناس وباءه .

الزاني المحصن

وأما الزاني إذا كان محصناً ، متزوجاً ، فقد اتفق فقهاء الشريعة على وجوب رجمه حتى يموت ، رجلاً كان أو امرأة ، واستدلوا بما يأتي :

(١) عن أبي هريرة قال : « أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد ، فناداه ، فقال يا رسول الله إني زنيت . فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فردد عليه أربع مرات . فلما شهد على نفسه أربع شهادات ، دعاه النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : أبك جنون ؟ قال : لا ، قال : فهل أحصنت ؟ قال : نعم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اذهبوا به فارجموه قال ابن شهاب : فأخبرني من سمع جابر بن عبد الله قال : كنت فيمن رجمه ، فرجمناه بالمصل ، فلما أزلقته الحجارة هرب ، فأدركناه بالحرة (اسم مكان في المدينة) « فرجمناه » متفق عليه . وهو دليل على أن الإحصان يثبت بالإقرار مرة ، وأن الجواب بنعم إقرار .

(٢) وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : « خطب عمر فقال : إن الله تعالى بعث محمداً بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم . فقرأناها ووعيناها . ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا ، وإني خشيت إن طال زمان أن يقول قائل : ما نجد الرجم في كتاب الله تعالى ، فيضلون بترك

فريضة أنزلها الله تعالى ، فالرجم حق على كل من زنى من الرجال والنساء إذا كان محصناً ، وإذا قامت البينة ، أو كان حمل ، أو اعتراف وأيم الله لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله تعالى لكتبتها . رواه الشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى مختصراً ومطولاً .

(٣) وجاء في كتاب نيل الأوطار « أما الرجم فهو مجمع عليه » .

وقد أخرج أحمد والطبرانى فى الكبير من حديث أبى أمامة بن سهل عن خالته العجاء ، أن فيما أنزل الله من القرآن « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة بما قضيا من اللذة » .

شروط الإحصان

وإذا كنا قد فرقنا بين الزانى المحصن وغير المحصن ، فإنه ينبغى أن نبين الشروط التى يكون بها الإحصان ، فنقول وبالله التوفيق :

١ - التكليف : أى أن يكون الزانى عاقلاً بالغاً ، فلو كان مجنوناً أو صغيراً ، فإنه لا يكون محصناً ، وبالتالي فعلى القاضى أن يعزره ، والتعزير عقوبة تفويضية على حسب ما يراه القاضى رادعاً وزاجراً .

٢ - الحرية : فلو كان عبداً ، أو أمة ، أى مملوكاً أو مملوكة ، فإن الله رفع عنها الرجم لقول الله تعالى فى حد الإماء : (فإذا أحصن فإن أتبن بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) (١) .

والمعلوم أن الرجم لا يتجزأ لأنه يؤدى إلى الموت لا يقبل التجزئة .

٣ - الوطء فى نكاح صحيح : أى أن يكون الواطئ قد سبق له أن تزوج زوجاً صحيحاً ووطأ فيه ، ولو لم ينزل ، ولو كان فى حيض

(١) النساء : ٢٥ .

أو إحرام ، فإنه يكفي للإحصان ، فان كان الوطاء في نكاح فاسد فإنه لا يحصل به الإحصان . ولا يلزم بقاء الزواج لبقاء صفة الإحصان ؛ فلو تزوج مرة زواجاً صحيحاً ودخل بزوجه ثم انتهت العلاقة الزوجية ، ثم زنى وهو غير متزوج فإنه رجم . وكذلك المرأة إذا تزوجت ثم طلقت فزنت بعد طلاقها ، فإنها تعتبر محصنة وترجم .

ومن الجدير بالذكر أن المسلم والكافر سواء ، إذا ثبت من المسلم الزنا يجب الحد عليه كما يجب على الذمي والمترد ، لأن الذمي قد التزم الأحكام التي تجرى على المسلمين . وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا ، وكانا محصنين .

وأما المترد فإن جريان أحكام الإسلام تشملته ، ولا يخرج الارتداد عن تنفيذها عليه .

عن ابن عمر : « أن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم برجل وامرأة منهم قد زنيا ، فقال : ما تجدون في كتابكم ؟ فقالوا : تسخم وجوههما ويخزيان . قال : كذبتن إن فيها الرجم . فأتوا بالتوراة فأتوها إن كنتم صادقين ، فجاءوا بقارى لهم ، فقرأ حتى إذا انتهى إلى موضع منها وضع يده عليه . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارفع يدك ، فرفع يده فإذا هي تلوح ، فقال (أو قالوا) : يا محمد إن فيها الرجم . ولكننا كنا نتكاثمة بيننا . فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما » .

رواه البخارى ومسلم

وعن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال : « رجم النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من (أسلم) ورجلا من اليهود » .
رواه أحمد ومسلم

ولقد غير اليهود حد الرجم فجعلوه جلدأ . وقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من اليهود فقال له : أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى ، أتجدون حد الله فى الزنا جلدأ لا رجماً فى كتابكم ؟ قال الرجل : لا . ولولا أنك نشدتنى بهذا لم أخبرك بحد الرجم . ولكن كثر الزنا فى أشرافتنا ، وكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقننا عليه الحد . فقلنا تعالوا فلنجتمع على شىء نقيمه على الشريف والوضيع . فجعلنا الجلد مكان الرجم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم إنى أول من أحى أمرك إذا أماتوه ، فأنزل الله عز وجل قوله : (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ، يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم توتوه فاحذروا ، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى وهم فى الآخرة عذاب عظيم) (١) .

والمراد : يقولون اثتوا محمداً فإن أمركم بالجلد فخذوه ، أى اقبلوا حكمه ، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا ولا تقبلو حكمه ، فأنزل الله تبارك وتعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) .

رواه أحمد ومسلم وأبو داود

هل يجمع بين الجلد والرجم ؟

ذهب ابن حزم وإسحاق بن راهويه ، ومن التابعين الحسن البصرى ، إلى المحصن يجلد مائة جلدة ثم ترجم حتى يموت ، فيجمع له بين الجلد والرجم ، واستدلوا بما رواه عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم »

رواه مسلم وأبو داود والترمذى

وعن على كرم الله وجهه أنه جلد شراحة يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة ، فقال : أجلدها بكتاب الله ، وأرجمها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو حنيفة ومالك والشافعى : لا يجمع الجلد والرجم عليهما ، وإنما الواجب الرجم خاصة .

معاني الإحصان

وتمة لهذا البحث فإننا نذكر هذه الفائدة التي تتعلق بالإحصان :

ورد الإحصان في كتاب الله تبارك وتعالى بمعنى الحرية .

قال تعالى : (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات)^(١)

ويأتى بمعنى العفة . قال تعالى : (والذين يرهون المحصنات)^(٢)

(١) النساء : ٢٥ .

(٢) أى العفيفات .

ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة (١)
ويأتى بمعنى التزوج . قال تعالى : (والمحصنات من النساء) (٢)
ويأتى بمعنى الوطء قال تعالى : (محصنين غير مسافحين) (٣)
والأصل فى الإحصان لغة : المنع ، كما قال تعالى : (لتحصنكم
من بأسكم) .
وورد فى الشرع بمعنى الإسلام ، وبمعنى البلوغ ، وبمعنى العقل .

بم يثبت حد الزنا ؟

يثبت حد الزنا بأحد أمرين :

الإقرار ، أو الشهود :

١ - ثبوته بالإقرار :

أما الإقرار فهو كما يقولون سيد الأدلة ، وقد أخذ الرسول صلى
الله عليه وسلم باعتراف (ماعز) (والغامدية) ولم يختلف فى ذلك
أحد من الأئمة ، وإن كانوا قد اختلفوا فى عدد مرات الإقرار الذى
به الحد ، فقال مالك والشافعى وداود والطبرى وأبو ثور : يكفى
فى لزوم الحد اعترافه به مرة واحدة لمسارواه أبو هريرة وزيد بن
خالد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اغد يا أنيس على
امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها » .

ويرى الأحناف أنه لا بد من الإقرار أربع مرات مرة بعد مرة
فى مجالس متفرقة .

(١) النور : ٤ .

(٢) أى المتزوجات - النساء : ٢٤ .

(٣) المسائدة : ٥ .

ويرى الشافعي والأحناف والحنابلة أن الرجوع عن الإقرار يسقط الحد .

وإذا أقر رجل بأنه قد زنى بامرأة فأنكرت المرأة ، أقيم عليه الحد ، وحده ولا تحدهى ، لما رواه أحمد وأبو داود عن سهل بن سعد أنه قد زنى بامرأة سماها ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المرأة فدعاها ، فسألها فأنكرت ، فحده وتركها .

وهذا الحد هو حد الزنا الذي أقر به ، لا حد قذف المرأة كما ذهب إليه مالك والشافعي . وقال الأوزاعي وأبو حنيفة : يحد للقذف ثمانين جلدة لأن إنكارها شبهة .

٢ - ثبوته بالشهود :

الإتهام بالزنا سيء الأثر في سقوط الرجل والمرأة وضياح كرامتهما ، وإلحاق العار بهما ، وبأسرتيهما وذريتهما ، ولهذا شدد الإسلام تشديداً بعيد المدى في إثبات هذه الجريمة النكراء ، حتى يسد السبل على الذين يتهمون الأبرياء ، ويلتمسون لهم العيب ، بعار لا يحى مدى الدهر ، وفضيحة لا تزول إلى الأبد ، لذلك اشترط الإسلام في الشهادة على الزنا الشروط الآتية :

١ - أن يكون الشهود ، أربعة ، بخلاف الشهادة على سائر الحقوق .

قال تعالى : (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله هن سبيلا) ولقوله تعالى : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) فإن كانوا أقل من أربعة لم تقبل شهادتهم ، وهل يحد الشهود إذا كانوا أقل من أربعة ؟

قال الأحناف ومالك ، والراجح من مذهب الشافعي وأحمد :
نعم يحدون .

٢ - البلوغ ، لقول الله تعالى : (واستشهدوا شهيدين من رجالكم ،
فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء)
فإن لم يكن الشاهد بالغاً لا تقبل شهادته ، لأنه ليس من الرجال .

٣ - العقل ، فلا تقبل شهادة المجنون ، ولا المعتوه ، فإذا كانت
شهادة الصبي لا تقبل لتقصان عقله ، فأولى ألا تقبل شهادة المجنون
والمعتوه .

٤ - العدالة ، لقول الله تعالى : (وأشهدوا ذوى عدل منكم)^(١)
وقوله : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا
قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)^(٢)

٥ - الإسلام ، سواء كانت الشهادة على مسلم أو غير مسلم .
وهذا متفق عليه بين الأئمة .

٦ - المعاينة ، أى تكون بمعاينة فرجه في فرجها كالمروء في المكحلة .

٧ - التصريح ، وهو أن يكون التصريح بالإيلاج لا بالكناية
أو التورية .

٨ - اتحاد المجلس ، ويرى جمهور الفقهاء أن من شرط هذه الشهادة
اتحاد المجلس بأن لا يختلف في الزمان ولا في المكان ، فإن جاءوا
متفرقين فلا تقبل شهادتهم .

(١) الطلاق : ٢ .

(٢) الحجرات : ٦ .

٩ - الذكورة ، ويشترط في شهود الزنا أن يكونوا جميعاً من الرجال ، ولا تقبل شهادة النساء في هذا الباب .

سقوط الحد

يسقط الحد إذا ظهر ما يقطع ببراءة الرجل أو المرأة ، كأن تكون المرأة عذراء لم تفض بكارتها ، أو رتقاء مسدودة الفرج ، أو يكون الرجل محبوباً أو عينياً .

رحمة الإسلام

ومن رحمة الإسلام أنه حدد لإقامة الحد وقتاً ، فلا يقام في الحر الشديد ، ولا في البرد القارص ، ولا يقام على المريض .

وقد جاء (في نيل الأوطار) أنه لا يلزم حضور الإمام أو الشهود لإقامة الحد وإن كان ذلك مستحباً .

كما يستحب شهود طائفة من المؤمنين إقامة الحد مصداقاً لقوله جل شأنه : (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين .

ومن أقيم عليه الحد جلدأ فلا دية له شرعاً .

الشذوذ الجنسي

بعد ما فرغنا من الكلام عن جريمة الزنا ، رأينا لزاماً علينا أن نتكلم عن الجرائم الأخرى ، التي تتعلق بالشهوة الجنسية . ومن أشنع هذه الجرائم ما يسمى باللواط ، أو عمل قوم لوط .

إن جريمة اللواط من الفواحش المفسدة للخلق والفتنة ، والدين والدنيا ، بل وللحياة نفسها ، وقد عاقب الله عليها بأقصى عقوبة ، فحسف الأرض بقوم لوط ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل ، جزاء فعلتهم ، وأنزل في ذلك قرآناً يتلى ليكون درساً . قال الله تعالى : (ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب . وجاءه قومه يهرعون إليه ، ومن قبل كانوا يعملون السيئات ، قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تمخزون في ضيقي ، أليس منكم رجل رشيد . قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد . قال لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد . قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبتنا ما أصابهم إن موعدهم الصبح ، أليس الصبح بقريب . فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود . مسومة عند ربك ، وما هي من الظالمين ببعيد) (١) .

وقال جل شأنه : (ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم

بها من أحد من العالمين . إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون . وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون . فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين . وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين (١) صدقت يا رب العالمين . .

ما عقوبة من أتى هذا العمل ؟

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل فاعله ولعنه .
روى أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » .

ولفظ النسائي « لعن الله من عمل عمل قوم لوط . لعن الله من عمل عمل قوم لوط . . لعن الله من عمل عمل قوم لوط » .

وقال الشوكاني : وما أحق مرتكب هذه الجريمة ، ومقارف هذه الرذيلة الذميمة ، بأن يعاقب عقوبة يصير بها عبرة للمعتبرين ، ويعذب تعذيباً يكسر شهوة الفسقة المتمردين . فحقيق بمن أتى بفاحشة قوم ما سبقهم بها من أحد من العالمين أن يصلى من العقوبة بما يكون في الشدة والشناعة مشابهاً لعقوبتهم ، وقد حلف الله تبارك وتعالى بهم ، واستأصل بذلك العذاب بكرهم وثيبهم ، وإنما شدد الإسلام في عقوبة هذه الجريمة لآثارها السيئة وأضرارها في الفرد والجماعة .

ما رأى الفقهاء

أجمع العلماء على حرمة هذه الجريمة ، وعلى وجوب أخذ مقتر فيها بالشدة .

ويرى العلماء في تقدير هذه العقوبة آراء ثلاثة :

١ - مذهب القائلين بالقتل مطلقاً .

٢ - مذهب القائلين بأن حده حد الزاني ، فيجلد البكر ، ويرجم المحصن .

٣ - مذهب القائلين بالتعزير .

المذهب الأول :

يرى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والناصر والقاسم ابن إبراهيم ، والشافعي في قول : أن حده القتل ولو كان بكراً . يستوى في ذلك الفاعل والمفعول به . ودليله على ذلك ما يأتي :

١ - عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » رواه الخمسة إلا النسائي .

٢ - وعن علي « أنه رجم من عمل هذا العمل » أخرجه البيهقي . وقال الشافعي : وبهذا نأخذ برجم من يعمل هذا العمل محصناً كان أو غير محصن .

٣ - وعن أبي بكر الصديق - رضى الله عنه - « أنه جمع الناس في شأن رجل ينكح كما تنكح النساء ، فسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك . فكان من أشدهم يومئذ قول

على بن أبي طالب - رضى الله عنه - قال : هذا ذنب لم تعص به
أمة من الأمم إلا أمة واحدة صنع الله بها ما قد علمتم ، نرى أن نحرقه
بالنار فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد أن يحرقه بالنار .
أخرجه البيهقي .

المذهب الثاني :

ذهب سعيد بن المسيب ، وعطاء بن أبي رباح ، والحسن ، وقتادة ،
والنخعي ، والثوري ، والأوزاعي ، وأبو طالب والإمام يحيى ،
والشافعي في قول ، إلى أن حده حد الزاني ، فيجلد البكر ويغرب .
أى يبنى ، ويرجم المحصن ، واستدلوا بما يأتي :

١ - أن هذا الفعل نوع من أنواع الزنا ، لأنه إيلاج فرج
في فرج ، فيكون اللائط واللواط به داخلين تحت عموم الأدلة الواردة
في الزاني المحصن والبكر . ويؤيد هذا حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان » .

٢ - أنه على فرض عدم شمول الأدلة الواردة في عقوبة الزنا لهما .
فهما لاحقان بالزاني بطريق القياس .

المذهب الثالث :

ذهب أبو حنيفة ، والموئيد بالله ، والمرتضى ، والشافعي في قول :
إلى تعزير مرتكب هذه الفاحشة ، لأن الفعل ليس بزنا فلا يأخذ حكمه .
وقد رجح الإمام الشوكاني مذهب القائلين بالقتل ، وضعف المذهب
الأخير ، لمخالفته للأدلة ، وناقش المذهب الثاني فقال : إن الأدلة
الواردة بقتل الفاعل والمفعول به مطلقاً مخصصة لعموم أدلة الزنا .

وقد قال الله تبارك وتعالى : (والاذنانتان يأتياهما منكم فأذوهما) .

الاستمناء

وهذه جريمة أخرى من الجرائم التي تتعلق بالغريزة الجنسية ،
وهي الاستمناء بالكف أو ما يسمى بالعادة السرية . وهذا عمل يتنافى
مع المروءة والأدب ، وحسن الخلق ، تنفر منه الطباع السليمة ،
ويعجه أصحاب الذوق .

احفظ منيك ما استطعت إنه ماء الحياة يصب في الأرحام
منيك قوتك ونظرك . منيك مخ ساقك ، ونور عينيك .

إن العادة السرية لها من الأضرار المادية ما يندى له الجبين حياء
وخجلا . إنها تصيب الجهاز العصبي بالحمول والبلادة ، بحيث تجعل
صاحبها في حالة خمول تام ، كما أنها تكون سبباً في الأمراض الخبيثة ،
كذلك لها تأثير على المعاشرة الزوجية . كما أنها تصيب الساقين
بالضعف ، بحيث لا يقوى من يمارسها على المشي الكثير ، وتصيب
البصر بالضعف ، وتصيب صاحبها بالشيخوخة المبكرة .

آراء الفقهاء فيها

ذهب المالكية والشافعية والشيعة الزيدية ، إلى أنها حرام حرمة
مطلقة ، واستدلوا على ذلك بقول الله تبارك وتعالى : (والذين هم
لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم
غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) (١)

(١) المؤمنون : ٥ - ٧ .

ففي هذه الآيات أمر صريح من الله جل شأنه بحفظ الفروج في كل الحالات ، إلا بالنسبة للزوجة والمرأة المملوكة ملك اليمين ، فلا لوم في هاتين الحالتين ، فإذا تجاوز المرء هاتين الحالتين واستمنى ، كان من العادين ، أى المعتدين على حدود الله ، المتجاوزين ما أحل الله لهم (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) .

ولا أجد أقوى من كتاب الله حجة ولا دليلا لقوم يعقلون .

ما العلاج

هناك بديل شرعى لهذا العمل المنكر . قال صلى الله عليه وسلم « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليزوج ، فإنه أغض للطرف ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

صدقت يا سيدى يا رسول الله .

فالزواج هو البديل الأول . قال تعالى (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) أى عصمة ، ووقاية ، وحماية ، ودرع لكم من الوقوع فيما حرم الله . . .

ومن لم يستطيع الزواج فالبديل هو الصوم .

فالشبع وقود الشهوة ، وقد قالوا : إن الجوع نهر تسيح فيه الملائكة ، والشبع بحر تجرى فيه الشياطين .

وعلى الذين يريدون أن يصوموا لعلاج الغريزة الجنسية أن يراعوا الاعتدال في طعام الإفطار ، كما صور ذلك سيدنا محمد صلى الله

عليه وسلم في قوله : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع » وفي قوله : « ما ملأ ابن آدم وعاء قط شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيبات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فنثت لبطامه ، وثث لشرابه ، وثث لنفسه » .

وهناك أيضاً الرياضات الروحية ، كالصلوات الخمس ، وقيام الليل الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، ومقربة لكم إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم ، ومطرودة للداء عن الجسد » .

وإن قراءة القرآن ، وذكر الله ، يجلوان صدأ القلوب ، ويقذفان النور في القلب (يا أيها الذين آمنوا إن تقوا الله يجعل لكم فرقاناً ، ويكفر عنكم سيئاتكم ، ويغفر لكم ، والله ذو الفضل العظيم)^(١) وهناك أيضاً الرياضات البدنية ، وقد ذكر الحديث الشريف نماذج منها :

« علموا أولادكم السباحة ، والرماية ، وركوب الخيل »

وإنها لكثيرة متنوعة ، يستطيع الشاب بممارستها أن يحول الطاقة الجنسية إلى قوة تسير في مسارها الصحيح .

وهناك أيضاً الاحتلام في المنام ، فإنه متنفس صحي طبيعي .

فيا شباب الإسلام : احذروا كلام المغرورين بكم ، وأصلحوا ولا تتبعوا سبيل المفسدين ، وعيشوا حياة الطهر والنقاء ، واحذروا طريق الظلمات والمغريات .

(١) الأنفال : ٢٩ .

ماذا يقول العلم ؟

رأينا من تمام الفائدة في هذا الموضوع الخطير ، أن نسجل قول العلم في جريمة الزنا ، وما ينجم عن تلك الجناية من الأضرار الخطيرة . حتى يصفح العلم الدين في وفاق وتفاهم تام .

ولعل القارئ يكون على بصيرة وبينة من أن العلم هو سلاح الإسلام الذى قال كتابه العزيز : (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وحتى تعلم البشرية جمعاء مدى ما يترتب على هذه الجريمة الخلقية من أضرار بالصحة والمجتمع .

وأسألوا التاريخ عن الإمبراطوريات التى اندحرت واندثرت وذهب ريحها ، بسبب الإنهاك فى الشهوات والجنس .

الإمبراطورية الإغريقية والرومانية والفارسية ، كل هذه الإمبراطوريات التى شمخت اندحرت واندثرت ، بسبب فشو هذه الجريمة بين أبنائها . وقد صدق الله تعالى إذ يقول : (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً . فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً) (١)

فماذا قال العلم عن جريمة الزنا ؟

جاء فى كتاب القرآن والطب للدكتور محمد وصنى ما يلى :
قال الله تعالى : (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) .
وستكلم عن أضرار الزنا من الناحية الطبية ، لرى ما تجره هذه الفاحشة على مرتكبيها من المصائب ، التى لا يزال العالم يرزح تحت عبثها ، التى تنخر فى عظام الإنسانية كما ينخر السوس فى مادة الخشب .

(١) الطلاق : ٨ ، ٩ .

الزُّهْرِي

ومن هذه المصائب الزهري ، وحين أتكلم عن الزهري ، إنما أتكلم عن ثالث مرض في العالم ، منوط به إرهاب النفوس وتضييع الأرواح وأول مرض لا يريح المصاب بالموت حتى يتركه بحال يفتت الأكباد ، ويذيب الأفتدة ممثلاً به شر تمثيل .

هذا الداء ينتشر في العالم انتشار فاحشة الزنا ، وتجد الإصابة به في لندن وحدها حوالي ١٠٪ ، أي أن عدد المصابين يبلغ الستائة ألف شخص ، وفي برلين ١٢٪ ، وفي باريس ١٥٪ . ولقد وجد أنه في جوتنبرج التي يبلغ عدد سكانها ١٣٨١٣٠ نفس يبلغ عدد المصابين ٤٧ ألف شخص .

وقال العلامة بنكسن : إنه في ألمانيا بأجمعها تجد في كل خمسة رجال رجلين مصابين بهذا الداء . وفي الولايات المتحدة الأمريكية ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف شخص يقضى عليهم هذا الداء سنوياً .

أما في مصر فلقد وجد أنه في سنة ١٩٣١ تردد على الأربع عشرة عيادة سرية ٢٥٠ ألف زان مريض بالزهري . والمعروف أن عدد المصابين في القطر المصري لا يقل عددهم عن المليونين . ولا يغيب عن البال أن المصابين الذين لا تبلغ إصابتهم إلى الجهات المختصة لا يعلم عددهم غير الله تعالى .

هذا المرض يعدي بمجرد اللمس عن طريق الزنا ، أو بمجرد تقبيل المصاب لغيره ، أو ملامسته ، وتسببه جرثومة خاصة تسمى (الاسبيروشيت باليدا) .

وتستطيع أن تلمس حقيقة هذا المرض إذا علمت أنه لا يترك جزءاً
من أجزاء الجسم حتى يترك فيه آثاره ، ولا يدع فيه جهازاً حتى يعطل
عمله ويفسد وظيفته .

وسوف ترى حين نتكلم عن الزهري الوراثي أن الإصابة تنتقل
إلى نسل المصابين ، وستعلم كيف يحمل الزناة إلى ذريتهم أخبث
الرزايا وأشنع الأمراض .

إن ظهور القرحة التآكلية أو التقرحية في موضع الإصابة ما هو
إلا الإنذار الخطير بغزو الجراثيم لجميع أجزاء الجسم عن طريق الأوعية
الدموية والليمفاوية جميعاً ، ومن ثم يحمر الجلد ، ويأخذ الاحمرار
شكل دوائر وردية لا تلبث أن تأخذ شكلاً خاصاً يتحول إلى ما يسمى
بالزهريات الحبيبية بجميع أشكالها وأنواعها ؛ أو تتحول إلى حويصلات
زهريّة ، فزهريات ملّية ، والزهريات الحبيبية لا تلبث أن تتقيح
سريعاً حتى تكون الربيا الزهريّة . ويظهر كل ذلك مع تضخم
لا يلبث أن يعم غدد الجسم الليمفاوية التي تتقيح سريعاً إذا ما وصلتها
الجراثيم العنقودية والسبحية . وتصيب جلود المرضى بالزهري مظاهر
مشوهة لهذا الداء العضال ، نعم جميع سطح الجسم ، كالطفح
الزهري الحبيبي ، والثعباني ، والنكسي ، والعقدي ، وكالصلع ،
والبهق الزهريين ، وذلك بجانب إصابة الأظافر وجعلها مشوهة هشة
سهلة الكسر مثقوبة القاعدة ، وكذلك الأنسجة المحيطة بها لا تنجو
من الالتهاب الداحس الزهري ، بل هنالك القروح العميقة والأورام
الصمغية التي تتغلغل في الجلد حتى تكشف عن العظام وأربطة العضلات
وتنتشر في السطح الوحشي للساقين وخلف الفخذين والإليتين ،
وخلف الساعدين والمرفقين ، وللسطح الوحشي للركبتين ، والسطح

الخارجى للكف ، وخلف اليدين ، وفى السطح الأعلى للقدمين ،
وفى فروة الرأس ، فتتلف العضلات ، وتفتت العظام ، وتتساقط
شظاياهم ، وتآكل أجزاؤها ، ويصاب سمحاقها ونسيجها الداخلى ،
وتغزو الجراثيم مفاصلها ، فتصيبها بالورم والاستسقاء ، ويلتهب
غشاؤها الزلالى .

والعين يصيبها الزهري ، ويهلكها بجراثيمه . ولقد وجد فى لندن
أن نسبة العمى الزهري تبلغ ٣,٥٪ من مجموع الإصابات بهذا الداء .
وأما عن الإصابة فى الأذن ، فيكنى أن تعرف أن ٢٥٪ من المصابين
تفقد آذانهم وظائفها ويصابون بالصمم .

والزهري يصيب أجزاء الفم إصابات بالغة ، فترى اللسان وقد
ظهرت فيه القروح الزهرية ، واللطف المخاطية ، حتى ينتهى الأمر
بتضخمه وانكماشه ، وضمور نسيجه وتشققه . وانتشار القروح
الزهرية والأورام الصمغية فيه ، ولوزة الحلق تتعرض للورم الصمغى ،
وكذلك البلعوم ، تظهر فيه التقرحات الزهرية التى قد تعوق التنفس
والبلع على وجه خاص ، لالتحام البلعوم بالحلق الرخو ، ويلتهب
سمحاق الأخير ويصاب بالقروح الزهرية ، وينتهى الأمر بحدوث
فجوة متسعة فى حلق المريض .

وتمتد الإصابة من الفم إلى المريء ، فيتعرض للإصابة بالقروح
والانسداد والشلل ، ومنه إلى المعدة ، فتتقرح وتنتشر فيها الصموخ
الزهرية ، وتعرض للنزف الدموى والانسداد فى إحدى فتحتها ،
وتصل الإصابة من المعدة إلى جميع أجزاء الأمعاء الدقيقة والغليظة
والمستقيم ، وفتحة الشرج ، مما يعرض المريض لأشد الأخطار وأسوأ
النتائج .

والجهازان البولى والتناسلى يتعرضان للتلف والدمار ، فيعطل عمل الكليتين بإصابتها بالقروح والأورام الصمغية ، وكذلك المثانة وجميع أجزاء الخصيتين والمبيضين ، وسائر أجزاء الجهازين .

ويغزو الزهري الجهاز التنفسى كذلك ، فتصاب الشعب الهوائية بالقرحات المزمنة ، والأورام الصمغية التى تمتد إلى الرئتين فتعطل عملها ، ويتسبب عن ذلك الموت .

وتصيب جراثيم الزهري الدورة الليمفاوية ، وتعطل عملها ، مما ينجم عن التهاب قنواتها وانتفاخها ، وتضخم الغدد التى قد تتيح عند وصول الجراثيم إليها ، بل إن إصابة الجهاز الدورى مما يورد الزناة شر موارد الدم والهلاك ، إذ تلتهم أهم شرايين الجسم وأوردته ، ويتصاب نسيجها ، وتتليف أجزاءه التى قد تصاب كذلك بالأورام الصمغية . وإنك لتجد معظم ذوى الأمراض القلبية المزمنة ، وموتى الفجاءة ، ضحية هذا الداء العضال .

وتصيب الجراثيم كذلك الغدد اللاقنوية بتلك الأورام الصمغية ، وهذه الغدد كالبروستاتة ، والمبايض ، والغدة النخامية والغدد التى فوق الكليتين ، والغدة الدرقية وغيرها .

ثم قال المؤلف بعد ذلك « ويطول بنا شرح الضرر الناجم عن إصابة هذه الغدد ، لما لها من بعيد الأثر فى جسم الإنسان ، وكبير سيطرتها عليه وخطورة شأنها فى تقويم وظائفه وحفظ كيانه . »

الزهري والجهاز العصبى

بعد ما وضح لنا بطريقة علمية مدى ما يفتك به ذلك المرض الخطير

بأجهزة الجسم ، ذكر المؤلف ذلك بعد الأخطار التي يحدثها الزهري بالجهاز العصبي فقال :

أما ما يفعله الزهري في الجهاز العصبي ، ويحدثه في سائر أجزائه ، ويسببه في جميع خلاياه ، من تعطيل وظائفها ؛ بضمور نسيجها أو تلفه ، وتحلله كما يحصل في مرض الشلل العام للمجانين ، فهو مما لا يستطيع القيام بمثله داء كهذا في شدة بطشه بضحاياه ، وبعيد تغلغه في أدق نوايا وجودهم ، وعظيم أثره في القضاء عليهم .

وحسبك أن تعلم أن الزهري يفتك بمخ الزاني فتكا ذريعا ، فتلتب ضحاياه خاصة جزء « الأم الحنون » وتصاب كذلك أوعيته الدموية التي تضيق حتى ينتهي الأمر بإفسادها ، ومنع الغذاء عن الأجزاء التي تغذيها بالدماء ، وحينئذ تحدث الأعراض التي سيأتي الإشارة إليها ، بل هنالك الأثرقة المخية الناشئة عن انفجار الأوعية الدموية . والأورام الصمغية لا تترك المخ حتى تبليه ، وتعطل عمله ، وهو أهم مركز في جميع أجزاء البدن على الإطلاق . وإصابة المخ في أبسط أشكالها تحدث الصداع الدائم ، والقيء ، والتوبات العصبية ، التي قد تتكرر مرات في اليوم الواحد ، وشلل العضلات المحركة للعين ، والتهاب عصب الإبصار ، ويصاب الجسم بعضه أو كله كذلك بالشلل الذي يوصل الزاني إلى القبر بعد أن يذيقه أشد الآلام .

وقد تحدث الإصابة في لسان المصاب ويصاب بالبيكم ، بل هنالك بجانب ما تقدم أعراض أخرى تعتبر أبسطها جميعاً ، رغم عظم خطرها ، كالذهول ، والهذيان ، وفقد الذاكرة التي تنتهي بالجنون . وتختلف أعراض زهري المخ باختلاف مواضع امتداد الإصابة . فإذا أصيب عصب الشم مثلا فقدت هذه الحاسة ، وإذا أصيب عصب البصر ، كان فقده وذهابه ، وهكذا . .

...the ... of ...

...the ... of ...

...the ... of ...

...the ... of ...

...the ... of ...

...the ... of ...

...the ... of ...

السَّيْلَان

ونكتفي بهذا القدر من الكلام عن الزهري ، لننتقل بعد ذلك إلى الكلام عن مرض آخر تسببه جريمة الزنا ألا وهو السيلان .
قال صاحب كتاب القرآن والطب :

إن السيلان من الأمراض الفتاكة التي تسببها هذه الفاحشة ، ويسبب هذا الداء جرثومة خاصة تسمى (الجونوككس) ولكي تعرف مقدار انتشار هذا المرض في الهيئة الاجتماعية ، ومبلغ تغلغله في أفرادها ، يكفيك أن أذكر مثلاً لذلك من إحصائيات لندن أن ٦٠٪ من عدد أفرادها البالغين مصابون بهذا الداء ، ويتراوح عدد المصابين في باريس من ٧٥٪ إلى ٩٠٪ ، وفي برلين من ٦٠٪ إلى ٧٠٪ وفي نيويورك تجد في كل مائة شخص ٨٠ مصابين بالسيلان ، هذا في أرق البلاد حضارة وأرسخها قدماً في علم الطب ، وأكبرها ادعاء للمدينة والرقى .

وليس مرض السيلان بالعلة الهيئة السهلة ، التي لا تستدعي الانتباه ، بل هو من أكبر المعضلات الاجتماعية الخطيرة ، التي حار في علاجها الأطباء والساسة والمشرعون ، فهو مرض فتاك ، يترك المصاب به في حالة من الألم والمرض مما يعطل حركته ، ويشل تفكيره ، ويجعله في المجتمع عضواً أشل ، لا فائدة فيه ولا نفع منه ، وذلك فوق ما تبلى به النساء ، فيجعلهن مستودعاً خطراً للعدوى وأداة لتشويه النسل ، والقضاء على الذرية .

إصابة المرأة

لقد ثبت أن كل امرأة اقتصت برجل مصاب بهذا الداء لابد أن تصاب هي الأخرى به لاستعدادها لقبول العدوى ، ولقابلية جهازها التناسلي لاستقبال جرائمه المرضية ، فتفتك به ، وتعطل وظيفته إذا لم تفقدها تماماً .

ويصاب مجرى بول المرأة بهذه الجراثيم ، فيلتهب وتتضخم حافاته ، ويظهر القيح السيلاني السكريه الرائحة من فتحة ، وكثيراً ما يزمن المرض في هذا المكان ، حين تختفي جرائمه في بقع استحالة نسيجة في غشائه ، ويحدث تليف في غدد (ليدر) فتضيق فتحة مجرى البول . وقد يمتد التليف إلى المجرى نفسه كذلك ، وتصيب جراثيم المرض قناتي (سكين) اللتين تظهر فتحتهما على جانبي مجرى البول ، وكثيراً ما تكون إصابة القناة سبباً في انتكاس المرض وأزماته .

والعدوى تمتد من قناة المجرى البولي إلى المثانة ، فتتعطل وظيفة الجهاز البولي وتشعر المريضة بألم كبير فوق عانتها ، وميل إلى التبول الكثير ، مع الألم في كل مرة ، ونزول نقط دموية من أثر تلك الإصابة .

كذلك يصيب السيلان الرحم . وهو موطن الجنين ، والقرار المكين ، فيلتهب عنقه ، إذ تتسرب الجرثومة إلى غشائه الداخلي ، ويحترقه ويختبي في الغدد والقنوات التي توجد في الطبقة تحت الغشائية والعضلية فيه ، حيث يزمن المرض وتكثر الإفرازات الالتهابية ، وتشتد الآلام في الظهر وفي العمود الفقري وترتبك دورة الحيض مع الألم المبرح أثناءه ، فإذا كانت المرأة حاملاً فإن الطفل تصاب عيناه عند الولادة بالسيلان الصديدي ، فيذهب بصره ، وتلف عيناه .

ثم انتقل المؤلف بعد ذلك إلى الكلام عن إصابة الرجل بالسيلان فقال :

ويصيب السيلان الرجل إصابات بالغة ، إذ تلهب عنده كذلك فتحة البول ، ويشتد احمرارها ، وتصاب حوافها بالمرض فتقلب على نفسها ، وقد تتآكل أطرافها ، ثم يمتد المرض في عضو التناسل ، فيعوق التبول ، ويشعر المصاب بالآلام المبرحة أثناءه ، وتفتك الجراثيم بالغشاء الداخلى للمجرى البولى ، ويشتد تكاثر الصديد ، ثم ينتهى الأمر بضيق المجرى ، وتعذر البول ، أو امتناعه مطلقاً ، وذلك لتكون أليساف خاصة نتيجة التهابات فى الطبقة تحت الغشائية للمجرى .

وكثيراً ما تصحب الدماء السيلان المدى القيحى ، وتندس القنوات الحاذية للمجرى البولى ، ويشعر المصاب بألم شديد مثل كى النار عند خروج البول ، وقد يمتد الألم إلى الشرج والفخذين .

القرحة الرخوية

ونكتفى بهذا الجزء من مرض السيلان ، لينتقل الحديث بنا إلى مرض آخر ينشأ عن فاحشة الزنا ، ألا وهو القرحة الرخوية .

قال صاحب كتاب القرآن والطب :

والزنا فوق ما يسبب من الزهرى ، والزهرى الوراثى ، والسيلان ، يعرض الأشرار كذلك للإصابة بالقرحة الرخوية ، التى تسببها جراثيم خاصة تسمى (بأسلاب ذكرى) ويكثر ظهورها فى جسم القضيب ، أو فى الصفن أو العانة أو عند فتحة الغلفة ، أو عند تلاقى الحشفة بجسم القضيب ، أو فى الثنية تحت الحشفة وفى الإناث يكثر وجودها

في الشفرين والشوكة ، والبطين ، والفخذين ، وقرب فتحة الشرج .
والقرحة سريعة العدوى ، ويوجد منها نوعان ، هما القرحة الرخوية
المرتفعة ، والقرحة الرخوية الثعبانية ، وتختلف هذه القرحة عن قرحة
الزهري بكونها قابلة للتعدد في نفس المريض ، بمجرد العدوى الذاتية ،
أو الامتداد ، وحسبك أنها كثيراً ما تسبب الاختناق أو الانكماش ،
كما يحصل في السيلان .

وهذا بجانب تعرض المصاب للغنغرينا والخراجات ، والأنزفة
الدموية ، وتقيح الغدد الليمفاوية وقنواتها ، وإتلافها التام للعضو
المصاب بها . إلى غير ذلك من مختلف الإصابات .

القرحة الأكلة

والقرحة الأكلة من الأمراض الخطرة التي يحدثها الزنا كذلك ،
وتمتاز هذه القرحة كما يدل اسمها بشدة تأثيرها ، وإتلافها المستمر
للأنسجة التي حولها ، مع عدم رضوخها للعلاج . وحسبك عملها
على تآكل أعضاء التناسل ، وإحداثها للأزمة الدموية وللغنغرينا ،
وتسمم الدم ، وتتهك الأنسجة المختلفة ، كالعضل والعظم ، إلى
غير ذلك من مائر الأجزاء .

ماذا يقول العلم عن الشذوذ الجنسي ؟

بعد ما تبين لنا بالحقائق العلمية مدى الأضرار الجسيمة التي تنجم
عن اقرار جريمة الزنا ، وبعدها تبين لنا ما يحويه الإسلام عن عظمة
عندما شدد في تحريم هذه الجريمة ونطق كتابه المعجز في صراحة وقوة
قائلاً (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) .

بعدما تبين لنا كل هذا ، فإنه من المنطق أن نسأل العلم عن الأضرار التي تنجم عن الشذوذ الجنسي ، أو ما يسمى بعمل قوم لوط ، والذي قال فيه مولانا تبارك وتعالى : (كذبت قوم لوط المرسلين . إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون . إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين . أتأتون الذكران من العالمين . وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون) (١) .

وبين الله جزاءهم بعد ذلك . وكيف كان العذاب رادعاً وزاجراً . حيث قال جل شأنه في كتابه العزيز : (ثم دمرنا الآخرين . وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين) (٢) .

وبين أن هذا العقاب آية لمن أراد أن يذكر ويعتبر بالأحداث ، أما من غفل عن التذكرة ، وعمى عن التبصرة ، فإنه ليس بمنأى عن هذا العقاب .

قال جل شأنه : (إن في ذلك لآية) (٣)

وقال في موضع آخر : (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود . مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد) (٤) .

وبعد ما فرغنا من حكم الشرع ، فيمن اقترف هذه الجريمة الخلقية ، وفصلنا أقوال الفقهاء فيما سبق ، فإننا نترك الكلام للعلم الطبي يتحدث بلسان واقعي عن الأمراض والأخطار التي تنشأ عن هذا العمل الأثيم .

(١) الشعراء : ١٦٠ - ١٦٦ .

(٢) الشعراء : ١٧٢ - ١٧٣ .

(٤) هود : ٨٢ ، ٨٣ .

(٣) الشعراء : ١٧٤ -

جاء في كتاب « القرآن والعلم » قول المؤلف :

أهم الأسباب التي حرم اللواط من أجلها بقاء الجهاز التناسلي عند الرجل وعند المرأة سليماً ، إذ أن لسلامته تأثيراً كبيراً في سلامة كل عضو آخر من أعضاء الجسم . فمن المعروف أن الإفرازات التي يفرزها الجهاز التناسلي ترتبط بأوثق الصلات بإفرازات الغدة النخامية . تلك الغدة الصغيرة الحجم . العظيمة الشأن . والتي في أسفل المخ ، والتي تتحكم في نشاط أعضاء الجسم وأجهزته المختلفة : القاب وسائر الأعضاء الأخرى . والجهاز الهضمي . والجهاز التنفسي . والجهاز العصبي .

والجهاز التناسلي في الرجل والمرأة جهاز خال من الجرائم تماماً . بعكس نهاية الأمعاء الغليظة . فإن الفضلات التي تخرج منها يتكون معظمها من جرائم ضارة : جرائم معروف علمياً أنها هي التي تسبب القيح ، ولا يحتاج لها الجسم إلا في هذا المكان فحسب ، بحيث لو وجدت في مكان آخر لأدت إلى أعظم الضرر فتسربها إلى الجهاز التناسلي للرجل أو المرأة أو كليهما معاً عن طريق اللواط يفقد هذا الجهاز صفة طهارته من الجرائم فيصبح مرتعاً لهذه الجرائم التي تحدث لها تهاباً وتقيحاً تزداد خطورته كلما ازداد عدد هذه الجرائم . ويترتب على هذا ضعف الحيوانات التناسلية ، وربما أدى ذلك إلى القضاء عليها . وبما أن الجهاز التناسلي والغدة النخامية مرتبطان - كما أسلفنا - ارتباطاً وثيقاً . فإنه يترتب على التهاب الجهاز التناسلي واضطراب إفرازاته اضطراب إفرازات الغدة النخامية فيتأثر باضطرابها الجسم كله . هذه الحكم البالغة تحيطنا بسياج يحمينا من الوقوع فريسة لأمراض قد يستعصى علاجها . كما أن هذه الأجازة التي فرضها الله سبحانه

وتعالى على الرجل مدة الحيض ، إنما هي فترة استجمام للرجل أياً
كانت قوته ، يكون بعدها أشد رغبة في المباشرة وأكثر إقبالا عليها .
إلهي ، ما أعظم حكمتك ، وما أجل قدرتك . خاطبت العقول
فبينت لها طريق الغي من الرشد ، ووجهت النفوس فأوضحت لها
طريق الظلمات من النور ، وأخذت البشرية بتوجيهاتك السديدة ،
فمن اتبع هداك فلا يضل في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة . ومن أعرض
عن ذكرك فإن له في الدنيا معيشة ضنكا ، وتحشره يوم القيامة أعمى .
اللهم خذ بأيدينا إلى طريق النجاة . وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا
إليك غير فاتنين ولا مفتونين .

... of
... ..
... ..
... ..
... ..
... ..
... ..

... ..
... ..

أَكَلَةُ الرَّبِّ بَا

ونواصل المسيرة المقدسة مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة إسرائه . .

قال صلى الله عليه وسلم : « ثم مضيت هنيئة . فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض آخرهم خسر ، فيقول : اللهم لا تقم الساعة ، قال : وهم على سابلة آل فرعون . قال : فتجئ السابلة فتطوهم . قال : فسمعتهم يضحجون إلى الله - قال : قلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال : هؤلاء من أمتك (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) (١) .

الربا ذلك المرض الاجتماعي الخطير ، الذي يغرس في النفس الرذائل ، التي على رأسها الأنانية والاستغلال وامتصاص دماء العباد ، وحب الكسل ، والترهل ، والعيش على حساب الآخرين .
ومن هنا فقد جاء التحذير منه صارماً وشديداً .

قال تعالى : (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة

(١) البقرة : ٢٧٥ .

لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون . واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون^(١)

كفالك أيها المسلم أن تقف أمام قوله تعالى فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله .

من ذا الذى يطبق إعلان الحرب من الله ورسوله ؟
 إن الحرب من الله ورسوله أمر خطير ، وإنها محق البركة ، وتدمير القوة ، وضياع الصحة ، والذل والهوان (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون^(٢))

ما هو الربا؟

يقول فقهاء الشريعة : إن الربا هو الزيادة على رأس المال ، أى مبادلة مال بمال مع الزيادة . ويدل على ذلك قوله جل شأنه (وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) .

ما حكمه ؟

الربا فى شرع الله حرام ، حرمة قطعية ، وقد ثبتت حرمة

(٢) النحل ١١٢ .

(١) البقرة : ٢٧٥ - ٢٨١ .

ثبوتاً صريحاً ، وجاء الحكم بحرمة في عدة مواضع في القرآن الكريم مرتباً ترتيباً زمنياً .

ففي العهد المكى نزل قوله تعالى (وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) (١) .

وفي العهد المدني نزل تحريم الربا صراحة في قول الله سبحانه (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون) (٢) .

وقوله جل شأنه : (وأحل الله البيع وحرم الربا) .

وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) .

وفي هذا النص الكريم دلالة قاطعة على أن الربا حرام ، سواء كانت الزيادة قليلة أو كثيرة ، لأن الله تعالى يقول (وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم) وبناء على ذلك فإن ما زاد على رأس المال قليلاً كان أو كثيراً فهو ربا .

أما الذين قالوا : إن الربا لا يحرم إلا إذا كان أضعافاً مضاعفة . فإنه يرد عليهم بقوله تعالى : (فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) .

ويرد عليهم كذلك بأن هذه الآيات السابقة في تحريم الربا ، والتي

(١) الروم : ٣٩ .

(٢) آل عمران ١٣٠ .

وردت في سورة البقرة من أواخر التشريعات نزولاً ، فليس هناك حجة لمن قال بأن حرمة الربا إنما تكون إذا كان أضعافاً مضاعفة .

حرمة الربا بطريق السنة

وكما ثبتت حرمة الربا بالكتاب الكريم ، كذلك ثبتت بطريق السنة المطهرة .

فقد جاء في ذلك أحاديث كثيرة ، نذكر منها ما رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وصححه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله آكل الربا ، وموكله وشاهديه ، وكاتبه » .

فانظر إلى لعنة المتعاملين بالربا ، وكيف شملت حتى الكاتب والشاهدين .

أليس في هذا دليل صريح على حرمة هذا الفعل الشنيع ؟ .
وقد جاء الربا في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمن السبع الموبقات .

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : وما هن يا رسول الله ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » .

قوة الإيمان بالله

الإيمان صانع المعجزات ، إذا تمكنت بشاشته من شغاف القلوب يكاد يجعل المستحيل ممكناً ، والملح الأجاج عذباً فراتاً سلسيلاً .

فإذا أوتي الإنسان هذه النعمة الإلهية ، وعمر قلبه بها ، هانت عليه الدنيا ، ولذا كانت العارفة بالله رابعة العدوية تقول :

لو كانت الدنيا كلها ملكاً لواحد ما كان لها غنياً . قيل لها :
ولم ؟ قالت : لأنها تفتى وهو صائر إلى زوال ، ثم أنشدت تقول
لرب العزة :

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر وبينى وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذى فوق التراب تراب

أثناء مطافنا مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة إسرائه ، وقفنا على هذا المشهد الذى يدعو كل مؤمن أن يفخر بقوة الإيمان ، وثبات العقيدة .

فبينما الرسول فى طريقه إلى بيت المقدس ، إذ شم ريحاً طيباً قد عطر الجو بأريجيه ، فسأل الأمين جبريل عن مصدر هذه الرائحة الطيبة .

فبأى شيء أجابه ؟

ترك الإمام البيهقي يحدثنا بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوضح لنا هذا المشهد الكريم :

قال الحافظ البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبد الله ، قال أخبرنا أحمد بن عبد الستار ، قال حدثنا ديبس المعدل ، قال حدثنا عفان ، قال حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما أسرى بي مرت بي رائحة طيبة ، فقلت ما هذه الرائحة ؟ قال : ماشطة بنت فرعون وأولادها ، سقط المشط من يدها فقالت : بسم الله ، فقالت بنت فرعون (أبي ؟) قالت : ربي وربك ورب أيك ، قالت : أولك رب غير أبي ؟؟ قالت : نعم ، ربي وربك ورب أيك الله . قال : فدعاها ، فقال : ألك رب غيري ؟ قالت : نعم ربي وربك الله عز وجل . قال : فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بها أن تلقى فيها . قالت : إن لي إليك حاجة ، قال : ما هي ؟ قالت تجمع عظامي وعظام ولدي في موضع ، قال : ذاك لك لما لك علينا من الحق . قال : فأمر بهم فألقوا واحداً واحداً حتى بلغ رضيعاً فيهم ، فقال : يا أمة قعى ولا تقاعسى فإنك على الحق » .

وقد ذكر أهل العلم أن هذا الرضيع أحد الذين تكلموا في المهدي ، وقد كرم الله هذه السيدة المؤمنة فبعث من قبرها ريحاً طيبة حمات بين ثناياها أريج الجنة إلى أن شمها سيد الخلق ليلة إسرائه . وهذا جزاء المؤمنين الصادقين ، طابت قلوبهم ، وعمرت بحلاوة الإيمان ، فانبعثت من قبورهم الروائح الزكية والشذى الطيب (إن للمتقين مفازاً . حدائق وأعناباً) .

فضل الجهاد في سبيل الله

وهذه صورة مشرقة كريمة ، شهدها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة إسرائه ، وهى تدل على فضل الجهاد في سبيل الله .

قد روى الإمام أبو جعفر بن جرير في تفسير سورة الإسراء بسنده قال : قال أبو هريرة - رضى الله عنه - « . . . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا جبريل ما هذا ؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله ، تضاعف لهم الحسنة بسبعائة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو بحلفه وهو خير الرازقين » .

وقد صدق رب العزة إذ يقول : (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم : تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم)^(١) .

ولو علم الناس فضل الجهاد والإستشهاد . لهانت عليهم هذه الحياة الدنيا ، ولأقبلوا على الشهادة يطلبونها بسماحة نفس ، وشغف وشوق .

ففي حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له في أول دفقة من دمه ، ويرى مقعده

(١) الصف : ١٠-١٢ .

من الجنة ، ويحلى حلة الإيمان ، ويزوج من الحور العين ، ويجار
من عذاب القبر ، ويأمن من الفرع الأكبر ، وزاد بعضهم « ويوضع
على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويشفع
في سبعين من أهله » .

تم بحمد الله وتوفيقه كتاب : « صور من عظمة الإسلام » .
(ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ؛ ولا تجعل في قلوبنا
غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم) .

وقد كان الفراغ من تأليف هذا الجزء مساء يوم الثلاثاء الموافق
الثلاثين من شوال سنة ١٣٩٢ هجرية — الموافق الخامس من شهر
ديسمبر سنة ١٩٧٢ ميلادية .

فهرس الكتاب

| الموضوع | صفحة | الموضوع | صفحة |
|-----------------------|------|----------------------------|------|
| الإهداء | ٣ | رد الدكتور يحيى طاهر على | |
| مقدمة الكتاب | ٥ | فرية اتهام الرسول صلى الله | |
| شخصية الرسول صلى | | عليه وسلم بمرض الصرع | ٤٠ |
| الله عليه وسلم | ٩ | لقاء آخر مع جبريل | ٥٠ |
| الجانب الخلقى | ٩ | رؤيا الأنبياء وحى | ٥٢ |
| الجانب الخلقى | ١٣ | نموذج آخر | ٥٣ |
| الوحى | ١٩ | نماذج أخرى | ٥٣ |
| صور الوحى التى وردت | | آيات كبرى | ٥٥ |
| عن رسول الله صلى الله | | النهى عن الغيبة .. | ٥٧ |
| عليه وسلم | ٢٠ | صور مشرقة | ٥٩ |
| بشائر النبوة | ٢٥ | صور مختلفة | ٦١ |
| صور الوحى | ٢٦ | أهل السعادة وأهل | |
| الصحابة يشاهدون | | الشقاوة | ٦٧ |
| ساعة الوحى | ٢٦ | الحلال والحرام | ٦٩ |
| شبهات باطلة | ٢٩ | مال اليتيم | ٧١ |
| ماذا قالوا عن الوحى ؟ | ٣٥ | جريمة الزنا | ٧٣ |
| تهمة باطلة | ٣٧ | الإسلام وصيانة العرض | ٧٤ |
| هذه فرية ما فيها مرية | ٣٧ | آراء الفقهاء | ٧٦ |

| الموضوع | صفحة | الموضوع | صفحة |
|-------------------------|---------|---------------------|--------|
| آراء الفقهاء فيها | ٩٣ ... | رأى آخر | ٧٧ ... |
| ما العلاج ؟ | ٩٥ ... | أنواع الزناة | ٧٨ ... |
| ماذا يقول العلم ؟ | ٩٦ ... | حد البكر | ٧٨ ... |
| الزهري | ٩٧ ... | الجمع بين الجلد | |
| الزهري والجهاز العصبي | ١٠٠ ... | والتغريب | ٧٩ ... |
| السيلان | ١٠٣ ... | الزاني المحصن | ٨٠ ... |
| إصابة المرأة | ١٠٤ ... | شروط الإحصان | ٨١ ... |
| القرحة الرخوية | ١٠٥ ... | هل يجمع بين الجلد | |
| القرحة الأكلة | ١٠٦ ... | والرجم ؟ | ٨٤ ... |
| ماذا يقول العلم عن | | معاني الإحصان | ٨٤ ... |
| الشدوذ الجنسي ؟ | ١٠٦ ... | يم يثبت حد الزنا ؟ | ٨٥ ... |
| أكلة الربا | ١١١ ... | سقوط الحد | ٨٨ ... |
| ما هو الربا ؟ | ١١٢ ... | رحمة الإسلام | ٨٨ ... |
| ما حكمه ؟ | ١١٢ ... | الشدوذ الجنسي | ٨٩ ... |
| حرمة الربا بطريق السنة | ١١٤ ... | ما عقوبة من أتى هذا | |
| قوة الإيمان بالله | ١١٥ ... | العمل ؟ | ٩٠ ... |
| فضل الجهاد في سبيل الله | ١١٧ ... | ما رأى الفقهاء | ٩١ ... |
| | | الاستمنا | ٩٣ ... |

رقم الإيداع ٣٢٠٨

دار التصير للطباعة الإسلامية
٢ (أ) شارع نشاطي - شبوا
القاهرة